روايات احلام

يهديني صيفاً !

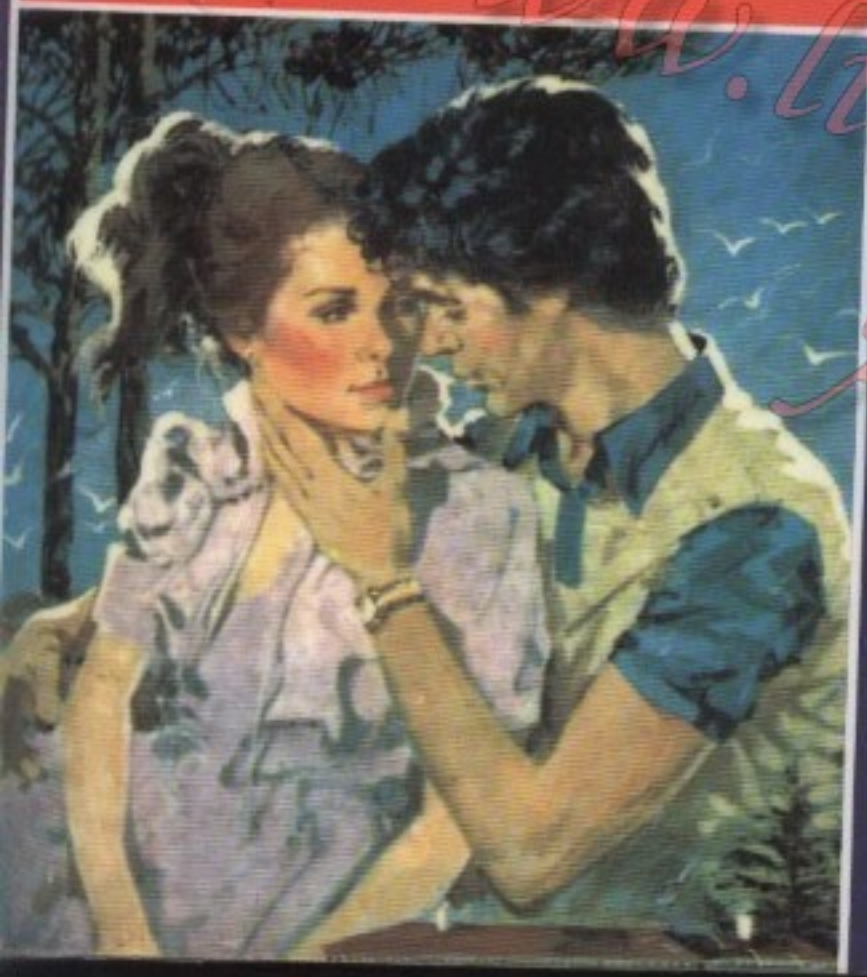

www.liilas.com/vb3
Aml

١٨٣

يهديني صيفاً

دار الفراشة

يهديني صيفاً!

من المذهل حقاً أن يتذكرها!... ممثل مشهور مثله قابل منذ زمن بعيد مراهقة وقضى معها وقتاً قصيراً، ومع ذلك يذكرها؟... وكم يبدو مختلفاً!... لقد اختفى الشاب الوسيم الخالي من الهموم وحل محله رجل في عينيه نظرة قاسية متعبة... ولكن بريتا تغيرت أيضاً... ولم تعد تلك المراهقة التي وقعت ذات يوم في حبه بجنون...

- لماذا تكرهينني هكذا يا بريتا؟

- أكرهك فعلاً لويد! ولكن ليس للأسباب التي تظنها... لكراهيتي قصة طويلة...

كانت بريتا مصممة أن لا تدعه يتجاوز أسوارها، فهي المرأة الوحيدة بين ملايين المعجبات به التي تعرف كم سيكلفها غالياً الوقوع في حبائله مرة أخرى!

لبنان ٢٠٠٠ ل.ل.	الإمارات	مصر ٤ ج.	ليبيا
سوريا ٧٥ ل.س.	قطر ٦ ر.	المغرب ١٥ د.	اليمن
الأردن ١ د.	البحرين ٦٠٠ ف.	تونس ٢ د.	السودان
الكويت ٥٠٠ ف.	السعودية ١٠ ر.	عمان ٦٠٠ ب.	العراق

١ ـ لمن تضحك الفصول؟

في ما مضى كانت الغرفة الصيفية ذات الأرضية المتحركة تدور لتستقبل أشعة الشمس. الآن، تقف ثابتة. فقد صدئت آلاتها، ونسج العنكبوت خيوطها بين شقوق النوافذ. كان جو بعد الظهر حاراً، والهواء في داخل الغرفة مثقلاً بالغبار... لكن ما من شيء من هذا كان يؤثر على من في داخلها.

من وقت لآخر، كانت تقضم أطراف جديلة سميكة من شعر أسود لماع، وهي تنقب في الكتب المكومة أمامها، وتمرر ظاهر يد متسخة فوق منديل أحمر مربوط على جبينها... لكن هاتين العادتين كانتا تزيدان مظهرها سوءاً ببنطلونها القصير الكاكي الواسع، والقميص القطني المبقع الذي ينقصه زراً أو اثنين. والحذاء الخفيف القذر. كان حاجبان أسودان مستقيمان يلتقيان في تركيز شديد، في وجه ضيق حولته الشمس الحارقة إلى بشرة هندية، قبل أن يقتحم صبيان صغيران باهتياج الغرفة، يمسكان كتفيها ويهزانها بإلحاح شديد.

وضعت بريتا قلمها وانتزعت سدادتي الأذنين، عابسة في وجه أخويها... إنهما في الثالثة عشرة والثانية عشرة من العمر. تكلم جون وريك في آن معاً فلم تستطع أن تفهم مرادهما.

قالت باستسلام مع تلاشي الضجيج:

ـ أخبراني الأسوأ.. كل واحد على حدة، أرجوكما!

قال جون متلعثماً: «لقد فعلنا شيئاً مريعاً».

قالت بهدوء شديد: «هيا.. تابع».

رفت جفون جون، ونظر إلى حذائه المغبر:

- لقد كسرنا نافذة.

أجابت دون تأثر: «أسأتما التصرف، لكنها ليست المرة الأولى».

- إنها ليست نافذتنا.

نظرت بريتا إلى الصبيين والشرر يتطاير في عينيها:

- أتعني أنكما كسرتما زجاج نافذة في المنزل؟

كان هذا سؤالاً نظرياً.. فليس هناك منزل آخر قريب ليكون عرضة لمواهب أخويها في لعبة «الكريكت».. وأطرق الولدان بتعاسة ثم تمتم ريك:

- كنا في الحديقة الخلفية.

أطبقت بريتا كتابها بحدة: أعتقد أننا اتفقنا بأن الباحة الخلفية هي خارج الحدود... تعاليا إذن، دعونا نهتم بالمشكلة...

أشرق وجه الولدين وقال جون:

- هل ستأتين معنا؟

حاولت بريتا إبقاء وجهها متجهماً، لكن بعد لحظة استسلمت وغمزتهما:

- وهل أرسلكما إلى عرين الأسد وحدكما أيها المغفلان؟ قد يحالفنا الحظ فلا نجد السيد بيركنز هنا.

لكن الحظ لم يكن حليفهم، ولو أن من أقبل نحوهم لم يكن السيد بيركنز. غار قلب بريتا عندما رأت أن الرجل الغاضب كان طويلاً، نحيفاً، قوي العضلات، لا يلوي على شيء سوى الانتقام.. توقفت وأخويها.. ورفعت نظرها إلى وجه نحيل أسمر تضيئه عينان فاتحتان تجولان من وجه مذنب إلى آخر.. هذا الرجل أصغر بجيلين على الأقل من السيد بيركنز، وإذا لم تكن مخطئة، فطباعه نارية كشعره الأحمر.

قبل أن تتفوه بريتا بكلمة، خطا جون أمامهما بحركة دفاعية والشحوب يعلو وجهه:

- إنها غلطتي.. أنا كسرت النافذة.. ولقد جئت لأعتذر.

استرخت أسارير الغريب قليلاً، ولانت النظرة في عينيه.. ثم مد يده بكرة كريكت:

- لا بد أن هذه لك إذن. كيف استطعت أن ترفعها من فوق ذلك الجدار؟

قال ريك متفاخراً: «إنه من العشرة الأوائل في المدرسة».

حدق جون إلى أخيه غاضباً: «اصمت! سندفع ثمن الأضرار».

برد غضب الرجل بشكل ظاهر: «لا حاجة لهذا.. في المرة المقبلة اختر هدفاً أبعد بقليل، وسنعتبر المسألة منتهية».

رفعت بريتا نظرها إليه بلهفة:

- أواثق أنت؟ هذا لطف كبير منك.. هل أزعج تحطيم الزجاج السيد بيركنز المسكين؟

أضاءت ابتسامة وجه الرجل... ابتسامة خبيثة ساحرة، خطفت أنفاس بريتا.

- السيد بيركنز مسافر.. أنا صديق لحفيده باول، أحرس المنزل لأسبوع أو اثنين.

مد يده: أنا لويد تشايلد.. وواضح أنكم جيراني.

تطوع جون قائلاً: «ونحن من عائلة ديلاني».

وصافح اليد الممدودة:

- هذا ريك وأنا جون.. آه!.. وهذه أختي.. بريتا.

صافح لويد تشايلد الجميع بوقار، لكنه أبقى يد بريتا الصغيرة المتسخة في يده مدة أطول.

- يبدو أنك شجاعة جداً لتأتي وتدافعي عن أخويك هكذا.. أحسنت.

ابتسمت بريتا بحياء: «جئت لأن أمي لم تسمع الضجيج.. إنها تدهن غرفة نومها. ولا بد أنها تسمع موسيقى سيمفونية على الراديو لذا لم تسمع صوت تحطم الزجاج.. وشكراً لك على لطفك في مسألة النافذة».

- إنها ليست نافذتي في الواقع.. لكن لا تقلقي، سأصلحها فوراً.

كانت ربتة يده على خدها أبوية.. وكبتت بريتا ضحكة خافتة وهي تودعه وتعود مع أخويها عبر الممر الداخلي المتعرج.

كانت ماريون ديلاني في المطبخ، تمسح يديها بمادة كحولية منظفة حين وصلت بريتا إلى المنزل، ورفعت رأسها مبتسمة:

- هل تمكنت من إنجاز أي عمل حبيبتي؟

نظرت بريتا إلى أمها تستكشف مزاجها:

- القليل فقط. كنت أتساءل كيف حالك اليوم.

ضحكت ماريون: «أوه.. لا بأس.. كما أظن.. كنت في وضع أسوأ.. لكنني دهنت إلى أن تحسن مزاجي».

- حضري نفسك إذن.. فستسوء حالك مجدداً.

- أخبريني.. لكن اغسلي الخس وأنت تتكلمين وسأقشر بعض البطاطس.. لا بد أن الأمر يتعلق بالولدين.

- صحيح.. لقد ضربا كرة الكريكت ودخلت في نافذة المنزل، فحطمتها.

أوقعت ماريون حبة بطاطس من يدها:

- لا! وهل كان السيد بيركنز هناك؟

تنهدت بريتا باكتئاب: «لا.. إنه مسافر. لكن أحد أصدقاء پاول بيركنز يقيم هناك.. يقول إنه يقوم بحراسة المنزل لأسبوعين.. وعندما ذهبت مع الولدين لدعمهما، شاهدت الرجل يتقدم مسرعاً نحونا وهو غاضب.

- أوه.. حبيبتي! لماذا لم تخبريني؟ لم يكن هناك داع لأن تتولي الأمر بنفسك.

- سمعت أنك كنت تدهنين.. وهذا يعني أنك كنت في مزاج سيء.. فقمت بالمهمة بدلاً عنك.

قبلت بريتا خد أمها.. وتابعت ماريون تقطيع البطاطس ووجهها

الجميل متجهم: «لم أكن أماً حقيقية مؤخراً.. أليس كذلك؟ آسفة بريتا».

- أعتقد أنها مرحلة عابرة وذلك بوأسيني.

- وأنا كذلك. على أي حال، كيف هو شكل ضيف السيد بيركنز؟ وكم عمره؟

جلست بريتا على حافة طاولة المطبخ، وشردت نظراتها:

- في أواخر العشرينات. وربما في الثلاثين، طوله حوالى مئة وثمانين سنتمتراً، نحيل، لكنه مفتول العضلات، أحمر الشعر، فاتح العينين، لونهما يقارب الرمادي اللؤلؤي، فيهما رذاذ ذهبي وإطار أسود حول البؤبؤين، وجفنين ثقيلين كسولين..

تورد وجهها عند رؤيتها تعبير وجه أمها الذاهل، وأكملت:

- وأنا أرتدي هذه الثياب!

- أوه حبيبتي.. يا لسوء الحظ.. أين وجدت هذا البنطلون القصير المزري بحق السماء؟

- أخرجته من كيس الملابس القديمة.. لا تنتقديني كثيراً فأنت أيضاً متسخة.

وتطلعت إلى بنطلون أمها الملطخ بالدهان، فنظرت ماريون إلى نفسها بقرف:

- أنت محقة.. أعتقد أنه يجب أن أفعل شيئاً بخصوص تلك النافذة المكسورة.. ما اسم الزائر البهي الطلعة، على فكرة؟

- لم أقل إنه بهي الطلعة.. اسمه لويد تشايلد.

- حقاً؟ يبدو لي الاسم مألوفاً.

- هذا ما فكرت فيه وبدا لي مألوفاً كذلك، ولو أنني لم ألتق به قبل الآن.. صدقيني كنت سأتذكر لو قابلته! آه.. على فكرة، لقد ذكر نوافذ بالجمع.

جلست ماريون، وقد ضاقت عيناها الزرقاوان:

- يزداد الأمر سوءاً. أعتقد أن عليّ دعوة السيد تشايلد لشرب القهوة أو

الشاي، فقد يخفف هذا من غضبه.

عبست بريتا: «وهل يجب أن تفعلي ذلك؟»

- حسناً، إذا أصريت على ارتداء ملابس كهذه فلن تلومي سوى نفسك.. لا بأس عليك.. سأدعوه إلى هنا بينما أنت ترتدين فستانك الجديد..

- أمي!

تجاهلت ماريون صياح ابنتها والتقطت سماعة هاتف المطبخ بابتسامة شريرة ثم طلبت رقم هاتف منزل بيركنز:

- آلو؟ هل أنت السيد تشايلد؟ أنا ماريون ديلاني. أعتقد أن علينا الاعتذار لما أصاب نافذتك... أم أنها توافذ؟

صمتت قليلاً، ثم ارتفع حاجباها وعضت أسنانها على شفتها السفلى المكتنزة:

- هذا لطف منك حقاً.. أيمكن أن تزورنا لنتناول شيئاً معاً، كعربون شكر لك؟

أجفلت فجأة:

- هذا المساء؟ رائع.. أجل، طبعاً، أرجوك. بعد ساعة إذن.

أعادت السماعة مكانها وكتفاها تهتزان ضحكاً، وهي ترى عيني بريتا المذعورتين.

- تمسّك بالفرصة. قال إنه سيكون سعيداً جداً بالتعرف أكثر إلى أولادي. وفهم أنني أعني على الفور!

- هيا إذن، أسرعي بالاستحمام. سأتولى أمر الولدين وسأرتب المنزل قليلاً بينما يغتسلان.

- شكراً أحبيتي.. ولأجل السماء، ارتدي شيئاً جميلاً.

بعد ساعة من الحركة النشطة المحمومة، كانت الصينية الفضية مليئة بأصناف البسكويت في غرفة الجلوس. وكان أفراد عائلة ديلاني نظيفين.. كانت بريتا تمشط شعر ريك الكث الأسود حين رن جرس الباب.

همست لأخويها: «ابقيا هنا.. سننزل معاً».

ثم قطبت وهي تصغي لما يقوله الزائر:

- .. أرجوك لا داعي للاستياء سيدة ديلاني. النافذة كانت تستحق الكسر حتى أتعرف بعائلتك الفاتنة.. ابنتك الصغيرة مخلوقة جميلة جداً.. صاحبة تينك العينين النجلاوين.

لمعت العينان المذكورتان بلون الفولاذ. أقفلت أمها باب غرفة الجلوس، ولم يعد بإمكانها أن تسمع تكملة تعليق لويد تشايلد.

حثها جون: «هيا.. دعينا ننتهي من هذا لننزل ونتناول العشاء.. أنا جائع».

- حسناً.. اذهبا، وسأنزل بعد دقيقة.. اسمعا.. مهما فعلت، لا تعليق منكما.. مفهوم؟ قولا إنني لا زلت أرتدي ملابسي إن سألتكما أمي.

هز الولدان رأسيهما بنشاط.. وأسرعا دون سؤال للقيام بواجبهما. أقفلت بريتا بابها على نفسها لتخلع فستانها القطني الجديد، وتبحث بين ثيابها عن تنورة بيضاء قصيرة كانت تلبسها منذ سنتين.. بعد لحظة تردد، ارتدت بلوزة وردية قصيرة، لها ياقة بحرية.. مسحت التبرج عن وجهها، وخلعت حليها وفتشت في الأدراج عن شريط حريري لماع، شقته نصفين وقسمت شعرها في منتصف الرأس إلى قسمين. ربطت كل قسم بالشريط الحريري الوردي اللون، ونظرت إلى نفسها في المرآة منتصرة.. أخفت رموشها بريق عينيها، وركضت إلى الأسفل حافية القدمين نحو باب غرفة الجلوس.

لحسن الحظ، كان لويد تشايلد مشغولاً بملء فنجان مضيفته بالقهوة، وفاته ملاحظة نظرة الصدمة في عيون أفراد العائلة.. اتسعت عيناها في رجاء صامت لأمها. وفهمت ماريون الإشارة دون أن يرف لها جفن، بينما كان لويد يلتفت ليعطيها فنجانها.

قالت صادقة تماماً:

- وهذه هي الحلقة المفقودة.. يا إلهي ما هذا التغيير بريتا؟ ابنتي تبدو مختلفة قليلاً عما رأيتها بعد ظهر اليوم سيد تشايلد.

تقدم لويد تشايلد إلى بريتا مبتسماً، ويده ممدودة:

- فعلاً.. مرحباً مرة أخرى، صغيرتي.

أخذت بريتا يده فاجتاحتها موجة خجل عارمة تصاعدت إلى خديها فتلونا بالأحمر. وقف ينظر إليها بابتسامته المدمرة.. إنه يبدو رائعاً وأنيقاً بما يكفي لأن تفقد بريتا توازنها، فتراجعت لتجلس على مسند الصوفا قرب أمها، التي قالت بلطف: «يجب أن تعذرها.. إنها خجولة».

تشردق جون بما كان يشربه من مرطبات، واضطر ريك إلى ضربه على ظهره، مما أدى إلى السعال والضجيج لدقيقة أو أكثر قبل أن يحني لويد رأسه ليسأل بريتا ماذا تود أن تشرب.

قالت مقطوعة الأنفاس: «كولا.. أرجوك».

نظرت بريتا إليه مقيّمة وهي ترشف شرابها.. وأحست بأن شيئاً لا زال يزعجها وهي تنظر إليه.. إنه مألوف جداً.. ووجدت أنه كان ينظر إلى الصبيين، ثم يعود إليها.. بعدها هز رأسه عجباً:

- أجد من المذهل سيدة ديلاني، أن أحداً من أولادك لا يشبهك.

قالت ماريون بمحبة:

- إنهم شديدو السمرة.. ولقد أخذوا لون بشرتهم من أبيهم.. كنت أفكر بإنجاب ولد آخر علني أحصل على من يشبهني أخيراً.. لكن هذا لم يحدث.

ضاقت عينا لويد وهما تستقران على وجهها الجميل.

- أتعرفين سيدة ديلاني.. أنا متأكد تماماً أنني رأيتك قبل الآن، فكرت بهذا لحظة التقينا.

قال جون مفتخراً: «أمي كانت ممثلة».

فرقع لويد بأصابعه:

- بالطبع! نعم! ماريون لامار.. كنت أهوى رؤيتك على المسرح وأنا..

رفعت ماريون يدها ضاحكة:

- أرجوك.. ! لا تقل منذ متى.. فهذا يسيء إلى غروري، سيد تشايلد.. ولا عجب أنك لم تعرفني.. فقد مرت عشرون سنة على الأقل، وكان المخرج يريد أن يكون لون شعري أحمر لأن البطل شعره أشقر.

انطلقت شرارة ما في دماغ بريتا وأدركت لماذا يبدو الزائر مألوفاً. لقد رأته على التلفزيون مؤخراً..

قالت متحدية: «أنت تمثل كذلك سيد تشايلد».

استدارت عيناه إليها، ولاننا مرة أخرى كما يحدث حين ينظر إليها:

- هل رأيتني أمثل بريتا؟

صفقت ماريون يدها على جبينها: «بالطبع! رأيتك على المسرح!».

- صحيح.

جلس مبتسماً قرب بريتا، ودخل في نقاش حيوي عن المسرح مع ماريون. كان يتكلم متجاوزاً بريتا الفتاة الصغيرة التي تدعيها.. سئمت الحديث بسرعة فهي لا تحس بالعزلة فقط بل تقف في طريقهما. فاعتذرت بهدوء ولحق بها الصبيان.

أخذت تراقب البطاطس تغلي ببطء فوق النار، وهي تحس بإحباط شديد ومفاجيء. ثم عادت إلى غرفة الجلوس لترى رأس لويد تشايلد الأحمر قريب من رأس أمها، وكلاهما مستغرق في حديث عميق بحيث ترددت بريتا في مقاطعتهما.

رفعت ماريون رأسها والإحساس بالذنب يرتسم في عينيها الزرقاوين الجميلتين. وحاولت بريتا طمأنة أمها، فاسترخت ماريون قليلاً وابتسمت تلك الابتسامة المشرقة كالشمس، التي لا تفشل أبداً في فتنة كل من يراها.. مؤخراً، كانت ابتساماتها قليلة فافتقدها الأولاد.

التفت لويد مبتسماً يربت على مفرش الصوفا إلى جانبه ومد يداً سمراء

نحيلة:

- تعالي واجلسي إلى جانبي.. وقولي لي كل شيء عن نفسك صغيرتي.

نظرت بريتا إلى أمها نظرة توسل، لكن ماريون ردت النظرة بتحدٍ وكأنها تقول: «لقد ورطت نفسك.. فخلصي نفسك».

جلست بريتا بنشاط على حافة الصوفا المخملية، تلعن نفسها بمرارة لكونها حمقاء هكذا. وأرجعها لويد لتستند إليه يلف ذراعه حولها.. احمرت وجنتا بريتا بلون خمري قاتم وهي تشعر بالحرج.

سأل: «ماذا كنت تفعلين قبل أن يضرب جون الكرة؟»

- كنت.. أدرس.

- في العطلة؟ وهل تعطيك المدرسة دروساً إضافية؟

هزت رأسها.. لم يكن سؤاله بعيداً عن الحقيقة.. وقالت ماريون:

- الزجاج المكسور كان لغرفة جلوس السيد بير كنز الخلفية بريتا.

ثم وقفت: «سأعود بعد لحظة.. تناول فنجان قهوة آخر لويد».

أغمضت بريتا عينيها يأساً.. ووضع اصبعه تحت ذقنها ليدير وجهها إليه:

- لا تقلقي صغيرتي.. ستأتي مؤسسة لإصلاح الزجاج غداً. والليلة سيبقى غوليات في الحراسة.. غوليات هو كلب الحراسة الألماني الذي أملكه، وهو ضخم جداً.

- جيد.. أنا آسفة جداً لما حصل.. حقاً.

فتحت عينيها لتلتقيا بعينيه ونجده ينظر إليها بتعبير غريب حقاً.. فجأة تركها يُبعد ذراعه من حولها وكأن ذراعه احترقت. قفزت واقفة، وقالت بسرعة:

- تناول قليلاً من الكولا..

ثم أدركت أنه يشرب القهوة: أعني..

وقف لويد بدوره تبدو عليه الحيرة، وهز رأسه:

- لا! لا.. شكراً.. لقد شربت ما يكفي.

انتشرت الراحة على وجهه مع عودة ماريون.

- يجب أن أذهب الآن سيدة ديلاني.. شكراً للقهوة.. تعالوا إلى المنزل لنتناول شيئاً معاً.

ردت ماريون: «شكراً لك، ربما نفعل.. لكننا لا نريد مقاطعتك وأنت تعمل.. لويد جاء إلى هنا لينال بعض الهدوء والسكينة، وليدخل في جو الأدوار التي سيلعبها... سيذهب في جولة عمل».

وضعت ذراعها حول ابنتها تحتها سراً، فقالت مطيعة:

- هذا مثير للاهتمام.. أي دور تلعبه؟

- دور «لاغو» في مسرحية «أوتيلو» ودور «إيدموند» في «الملك لير»...

هل قمت بمثل هذه الأدوار في المدرسة؟

صرت بريتا على أسنانها بصمت، لكنها هزت رأسها موافقة.

امتلأ لويد بالنشاط، وتلاشى ارتباكه.

- لا شك أنها تجربة رائعة، وأنا محظوظ لحصولي على الأدوار.. لكنني تمكنت من الحصول على دور صغير في التلفزيون الشتاء المنصرم.. وساعدني هذا.. عرضت عليّ أدوار كثيرة منذ ذلك الوقت. لكن معظمها كان تافهاً.. وأنا سعيد لأنني انتظرت.. من يعلم! في العام المقبل قد أقوم بدور كبير.

قالت ماريون بحرارة: «أتمنى لك هذا بكل صدق.. وإلى ذلك الوقت، أرجو ألا تكون عائلتي قد أزعجتك».

- بالعكس..

صمت ناظراً إلى بريتا والتساؤل الحائر في عينيه.

- ابتسامة أمك جميلة جداً.. وأتساءل كيف هي ابتسامتك!

أسرعت ماريون للإنقاذ:

- إنها دائماً جدية. حتى وهي طفلة، كانت تتمتع بدرجة كبيرة من الوقار!

قال لويد دون وعي: «أجل.. أتصور هذا.. حسناً.. وداعاً

صغيرتي.. تمني عني ليلة سعيدة للصبيين».

ردت بريتا بهدوء: «وداعاً..».

وبقيت حيث هي بينما رافقت ماريون الضيف إلى الباب.. حضرت نفسها، تنتظر أن يهبط غضب أمها على رأسها. لكن ماريون أطلت برأسها من الباب وأشارت إلى بريتا لتلحق بها إلى المطبخ.

- لقد أطفأت النار تحت البطاطس.. يا إلهي انظري إلى الساعة.. ظننته سيبقى هنا طوال الليل.. حضري المائدة حبيبتي.. أرجوك.

- ألن توبخيني لدور «لوليتا» أمي؟

- شخصياً.. أعتقد أن عليك الذهاب إلى منزل بيركنز غداً للاعتذار.

- مرة أخرى؟ أجل أمي.. لا بأس.. يبدو أن اعتذاري سيصبح عادة يومية.. أليس كذلك؟ الفكرة تكاد تصيبني بالهستيريا.. لكنني سأذهب.. أوه.. يا الله! هذه المرة يجب أن أكافح لأشق طريقي من أمام كلب حراسة ألماني.. من يقول إنك لا تحصلين على فرصتك المناسبة في الحياة؟

- ليس أنا.. بكل تأكيد.

وبدا وجه الأم أكبر بعشر سنوات.. فسارعت بريتا تلف ذراعيها حولها:

- أمي.. أنا غبية! لم أقصد ذر الملح على الجرح.. أنا آسفة.

- لا بأس حبيبتي، ليس لدي أسباب تدعو للتذمر.. لكن ما يعقد الأمور هكذا هو أنكم، أنتم الثلاثة، علقتم بين نارين.

تنفست ماريون بعمق وهي ترتجف. بذلت جهداً كبيراً لتبدو مرحة:

- هيا.. لوليتا.. نادي الصبيين، لا بد أنهما يتضوران جوعاً.

استلقت بريتا على الفراش مفتوحة العينين، تشعر بالعذاب.. من المؤلم مشاهدة كفاح أمها الشجاع لإخفاء تعاستها.. معظم الأيام كانت ماريون تبلي بلاء حسناً.. لكن حين تسوء حالها، تعالج نفسها بدهن أي شيء في المنزل.

بدأ كل هذا فجأة.. كانت ماريون في لندن في رحلة تسوق قبل بضعة أشهر، والتقت صديقاً قديماً من أيام المسرح.. أصبح إدي تريشاير مخرجاً تلفزيونياً وأقنعها بالظهور في أحد برامجه دون إخبار سايمون.. وأدى ظهورها القصير في برنامج «نظرة إلى الماضي» إلى إعادة عرض أدوار صغيرة لها.. وأمام ذهولها المطلق، وصل زوجها الذي كان يعمل في بلد آخر في إجازة.

جن جنونه غيرة وغضباً، وأصيب بصدمة.. وكانت ابنته شاهدة على الشجار.. عبثاً حاولت ماريون إثبات براءتها.. فهي لم تكن تنوي قط العودة إلى عملها القديم... ورفض الزوج بصراحة أن يصدقها، مطالباً بدليل على إخلاصها.. لم يكن لديها البرهان لتعطيه، ووجدت نفسها فجأة مهزومة لا ملجأ لها. سمعت نفسها تقترح دون تفكير بالمأساة التي تنتظرها، أن يطلقها سايمون.

حفاوان.. فكرت بريتا ببؤس.. كان من الواضح جداً أن الطلاق هو آخر ما يريده أي منهما.. وقد أدى التسرع إلى هذه النتيجة المؤسفة.. صحيح أن دعوى الطلاق لم تبدأ بعد.. لكن الوالد عاد إلى الصحراء وهو يكاد يجن حزناً. والأم، هنا في المنزل، تهتم بدهانها.. ثم أتت هي لتنفذ تلك الخدعة الرخيصة الحمقاء على شخص مثل لويد تشايلد.. وكل هذا، لأنها أحست بالألم حين فشل في تمييز أنها أكبر سناً مما تبدو.

كان العمل الإضافي الذي تقوم به هو التحضير لامتحانات الدخول إلى جامعة أوكسفورد. وبعد شهر من هذا سيصبح عمرها تسعة عشر سنة...

***

٢ ـ من الطارق؟

في الصباح التالي وصلتهم رسالة من والدها، موجهة لبريتا وأخويها، يسأل فيها عن صحتهم ويعبر عن قلقه العميق عليهم. في نهاية الرسالة، أجبر نفسه على سؤالهم عن أحوال أمهم. . وشحب لون ماريون، وبدأت تدهن غرفة نوم بريتا. كان للرسالة تأثير سيء على أجواء النهار كله. بعد الظهر ذهبت بريتا إلى الغرفة الصيفية ترتدي بنطلون جينز جديداً وقميصاً قطنياً واسعاً. شعرها ممشط ناعم مربوط على ظهرها.

وجدت صعوبة كبيرة في التركيز. ومضت ساعة قبل أن تتمكن من التركيز على موضوع دراستها. . لكن ما هي إلا برهة قصيرة حتى أشعرتها حاسة سادسة بأن هناك من يراقبها. وقفت بسرعة لترى لويد تشايلد في الباب. كان يبدو ساحراً فوق العادة، في كنزة مشغولة من القطن، وبنطلون بلون كاكي فاتح. . غار قلبها. . وجهه المتجهم بأنفه المستقيم وخديه البارزين، والعينين الباردتين تحت شعره الأحمر ووقفته المسترخية. . كان كل ذلك يحث بريتا على الهرب. لكن رجلاً يزيد طوله عن المائة وثمانين سنتمتر يسد المنفذ الوحيد. . وزاد الصمت الطويل توترها. . وبدا واضحاً أن الزائر لن يتكلم أولاً.

قالت بخنوع: «مرحباً».

ـ آنسة ديلاني كما أفترض! ما الذي حدث للطفلة بريتا؟

لوحت بيديها معتذرة:

ـ كانت هفوة. . وأنا آسفة، خدعة حمقاء.

استرخى وجهه قليلاً: «لماذا؟»

ـ سمعتك تكلم أمي حين وصلت. . وأشرت إليّ بالفتاة الصغيرة.

و. . حسناً. . انزعجت. . هكذا بكل بساطة.

ـ كم عمرك؟

ـ ثمانية عشر عاماً، تسعة عشر نهاية السنة.

زفر نفساً طويلاً، وبدأ التصلب يتلاشى عنه.

ـ هل لديك فكرة عما حصل لي وأنت بقربي على الصوفا ليلة أمس؟ لقد قضيت ليلة كالجحيم أيتها السيدة الشابة.

ـ حقاً؟ ظننتك عرفت فعلاً.

ـ لا. . لم أعرف، حقاً آنسة «براءة». . أحسست فجأة بميل شديد إليك، إلى فتاة في الثانية عشرة من عمرها. أحسست بالغثيان. . وخشيت أن أنظر إلى نفسي في المرآة، فقد اقتنعت أنني منحرف شاذ!

نظرت بريتا إليه بعجز:

ـ ماذا أستطيع أن أفعل. . ؟ قلت لك إنني آسفة.

تراجع لويد إلى الوراء ينظر إليها ببرود:

ـ بإمكانك الابتعاد عن طريقي، وهذا أفضل آنسة ديلاني. . أنا لا أحب المراهقات السخيفات اللواتي يخادعن الكبار لأنهم أفضل منهن.

ردت بحرارة وقد تلاشى ارتباكها:

ـ قد تكون من الكبار في السن، لكن أن تكون الأفضل فهذا موضوع للجدل. والآن، اعذرني، لدي عمل أقوم به.

قال بصلابة: «طبعاً».

واستدار ليذهب، لكنه توقف لينظر إلى الكتب على الطاولة.

ـ هل تسمحين لي بسؤالك؟ ما هو العمل؟

ـ التحضير لدخول أوكسفورد.

ابتسم لها ابتسامته الفاتنة:

ـ أتمنى لك الحظ الطيب بريتا. . أتعرفين؟ أنا آسف على ليلة أمس.

- أنا من عليها أن تعتذر، سيد تشايلد.

- أنا لا أعتذر.. كنت فقط أعبر عن أسفي لخسارة بريتا الصغيرة.. كانت مخلوقة صغيرة لا تقاوم.. هل فكرت يوماً بامتهان التمثيل على المسرح؟

- لا.. وكما قلت، ليلة أمس كانت نزوة. وفي الأحوال العادية، أجد الادعاء أمراً صعباً.

- أتعنين على عكسي؟ سيدتي الصغيرة. غريب كيف أن شخصية دافئة ساحرة مثل أمك، يمكن أن تلد طفلة مثلك. ألا تبتسمين أبداً؟

- بالطبع.. حين يكون هناك ما يستحق الابتسام.

استدار لويد بحدة وخرج. راقبته بريتا متشائمة وهو يبتعد. ثم جلست تطالع الكتب التي أمامها، وهي تحس بالاستنزاف.

حين عادت إلى المنزل بعد حوالى الساعتين، كانت ماريون في المطبخ تشرب القهوة، وتبدو أكثر ارتياحاً.

قالت الأم بعفوية:

- أعتقد أن لويد جاء ليراك.. حبيبتي.

- أجل.

- وجاء ليراني كذلك.

- أمر لطيف، أرجو أنه كان لطيفاً معك.

- كان فاتناً.. ربما لأنه يريدني أن أفعل شيئاً له.

نظرت بريتا إلى وجه أمها الهادىء بارتياب:

- وما قد يكون هذا؟

ضحكت ماريون، التي بدت أصغر سناً فجأة، وقالت بخبث:

- ظنك يثير غروري، لكنك مخطئة. يريد مني أن أراجع معه بعض أدواره.. إنه يجد صعوبة في حفظها وحده كما يبدو. السيدة التي ستشاركه الدور كان من المفترض أن تأتي معه، لكنها توعكت.

- ويريدك أن تكوني بديلة عنها؟

- فقط في الحفظ.. لكنني اشترطت أن يأتي هو إلى هنا.

ارتفع حاجبا بريتا: «لن تنالا الكثير من الهدوء».

- هذا عائد له.. لن أذهب إلى هناك حبيبتي.. أظن أن من الأفضل البقاء هنا مع عائلتي.. أنت لا تعترضين.

- لا.. بالطبع.. وماذا سيحصل لغرفة نومي وأنت تعملين مع لويد؟

- قد تطول مدة دهانها.. لكنني سأنجزها، لا تخافي. يمكنك النوم في الغرفة الإضافية لفترة.. والآن عودي إلى عملك وسأعود إلى الدهان.

سألت بريتا بفضول:

- أمي.. هل تتمتعين حقاً بعمل المنزل؟ أعني بعد أن عملت على المسرح.. ألا تجدين العمل المنزلي مضجراً؟

قالت ماريون ببساطة:

- لا.. لطالما أحببت العمل المنزلي.. ولم يكن التمثيل ساحراً على الدوام.. كان هناك الكثير من السفر والإقامة في أماكن غريبة.. وكل القلق والبحث عن عمل. لطالما أحسست بالمرض لشدة التوتر. لذا، حين قابلت أباك، بدا لي أن أحلامي ستتحقق. مع ذلك لم أستطع أبداً إقناعه بأنني لا أحن إلى المسرح.

اندفعت بريتا تلف ذراعيها حول أمها، ثم أمسكت ذراعها:

- ألا يمكنك الكتابة لتقولي هذا؟ لا أريد التطفل، لكن يبدو لي أن هذا هو كل ما يريده.. أن يعرف حقيقة شعورك.

ابتسمت ماريون بحزن:

- لا.. لا أستطيع حبيبتي.. أحتاج إلى أن يثق بي..

- هيا.. توقفي عن الثرثرة.. لنعد إلى العمل.

- حسن.. متى سيأتي لويد الفاتن ليعمل معك؟

كشرت ماريون وجهها ساخرة:

- ليس قبل الغد.. تبدين رائعة هكذا.. يجب أن ترتدي ثياباً لائقة على الدوام.

ـ كنت مستعدة لمواجهة الأسد في عرينه هذا الصباح. لكن قبل أن أفعل، جاء الأسد ليواجهني.

التفكير بلويد عكّر دراستها طوال بعد الظهر في الأيام التالية.. وأصبحت الحياة عموماً صعبة. كان لويد يأتي بعد ظهر كل يوم، ويبقى أحياناً للعشاء ليعمل مع ماريون في المساء. مع بريتا، تصرف لويد بكياسة وحرص على الشكليات مما كان يجعلها تقشعر برداً حتى العظام.. كان تصرفه معها يختلف عن تصرفه مع ماريون والولدين، مما كان يدفع بريتا إلى أن تذهب للنوم في بعض الليالي باكراً، لتلعق جروحها في خلوة غرفة نوم الضيوف.

كانت ماريون، من ناحية أخرى، مبتهجة جداً بالعمل الذي تقوم به مع لويد..

قالت لها ماريون ذات ليلة بعد أن خرج لويد:

ـ إنه ممثل ممتاز.. عدا عن حضوره الرائع، لديه موهبة في تقمص الدور.

ـ لا أعتقد أنه سينجح في دور ادموند في الملك لير.. إنه دور كبير عليه.

ـ في الواقع.. قد تدهشين.. إنه قاس شرير في تصرفه.. حتى أنه يجعلني اقشعر أحياناً.

بالنسبة لبريتا، هو يفعل هذا بها طوال الوقت دون جهد..

ـ بضعة أيام أخرى وسيرحل.. وهذا أمر جيد، عمت مساء..

قبلت أمها وتركتها فجأة، لتنظر ماريون إليها وهي تبتعد بعينين زرقاوين مضطربتين.

بعد ظهر اليوم التالي، اضطرت بريتا للبقاء في المنزل تترقب وصول لويد.. حين وصل، أدخلته غرفة الجلوس بتصرف رسمي وقالت بأدب:

ـ لن تتأخر أمي.. لقد نسيت أن على جون وريك الذهاب إلى طبيب الأسنان اليوم. حاولت الاتصال بك لكنك لم تكن في المنزل.

جلس لويد على الصوفا، يبدو جذاباً جداً: «ربما يجب أن تجلسي معي لتسليني إلى أن تعود أمك. لا بد من وجود شيء مسلٍ لديك؟»

فتحت فمها لتصده بكبرياء، ثم دفعها عفريت صغير شرير للقول:

ـ ماذا تحب بالضبط؟

كانت ترتدي تنورة قديمة قليلاً، لكنها طويلة بجيبين كبيرين، فتحتهما على سعتهما وهي تنحني ساخرة. ثم بدأت تلقي خطبة عصماء من أحد كتب الأدب الإنكليزي عن موضوع الموت.. حملت تلك القطعة الأدبية كل الإحباط والتعاسة اللذين شعرت بهما في الأيام الماضية... وأصابت سامعها بالذهول بحيث تسمر دون حراك والدهشة بادية في عينيه.

وقف لويد ليضع يداً على كتفها، ثم أدارها إليه، ينظر إلى وجهها النحيل المحمرّ.

ـ قولي لي.. من علمك الأداء هكذا؟ أمك؟

ـ لا. لقد تلقيت دروساً في الإلقاء في المدرسة.. ثم حصلت على ميدالية ذهبية من أكاديمية لندن للموسيقى والفن الدرامي، منذ بضعة أشهر.

قال مفكراً: «لكنك قلت إنك لا تحبين المسرح».

هزت كتفيها: «لا أحبه.. لكنني أريد تدريس الدراما، في مدرسة مثل مدرستي».

ـ أنت تهدرين مواهبك طفلتي..

ـ لا أراه إضاعة وقت أو مواهب.. وأنا لست طفلة!

وافق ساخراً: «لا.. أعرف هذا. لا أحتاج إلى من يذكرني».

ابتعدت بريتا عنه: «أعتقد أنني سمعت صوت أمي والصبيين».

هرعت عبر الباب لترتمي بين ذراعي ماريون التي نظرت إلى وجهها المحمر بحذر... وسألت: «ما الأمر؟ شجار آخر حبيبتي؟»

ـ لا.. بالطبع لا.. لم يطل وجوده هنا كثيراً. هل أحضر لكما الشاي أمي؟

ـ أجل.. أرجوك، حبي.

ودخلت غرفة الجلوس لتحيي ضيفها.

منذ تلك الواقعة استقرت علاقة لويد ببريتا على شيء من الحذر والود. كان الوضع أشبه بهدنة لكنه أفضل مما سبق..

بعد ظهر أحد الأيام، نزلت بريتا من الباص عائدة من المدرسة، في نهاية الطريق الترابي الموصل إلى المنزل، تقطع المرج نحو أبواب المنزل الزجاجية.. لكنها تسمرت في مكانها أمام المشهد الذي رأته. كان لويد يحتضن أمها تحت ذراعه ويده تحت ذقنها، يرفع وجهها نحوه لينظر في عينيها.. أحست بريتا بالسقم، وأخذت تراقب المشهد مخدرة الأحاسيس جافة الفم، تنتظر ما سيلي.. لكن شيئاً لم يحدث.. فجأة ترك لويد ماريون بنفاد صبر، وقال يمرر أصابعه في شعره:

ـ لا.. لا.. هذا مبتذل جداً.. وكأنه من هوليود.

قالت ماريون:

ـ ربما يجب أن يقبل يدها أولاً.. على أي حال إنها من العائلة المالكة، أميرة.. لماذا لا يرفع يدها ويقبلها، قبل أن يعانقها؟

صاح لويد بانتصار: «نعم.. أنت على حق تماماً..».

وصمت عند رؤيته بريتا: «مرحباً صغيرتي..».

قبلت ماريون خد ابنتها دون تركيز: «مرحباً حبيبتي.. هل حان وقت عودتك حقاً؟ سأسرع لأصنع الشاي.. لن أتأخر دقيقة».

رمت بريتا حقيبتها على الأرض، وجلست على الصوفا.. كادت للحظة أن تصدق ما تراه.

جلس لويد إلى جانبها:

ـ تبدين مرهقة بريتا.. هل تعملين بجهد على الدروس؟

هزت كتفيها: «الاعتياد على المدرسة مجدداً يأخذ وقتاً. على ماذا كنت تتدرب وأمي حين وصلت؟».

ـ دور جديد.. طلب إليّ أن ألعب دور هنري الخامس! كنت أعمل كالمجنون طوال اليوم وحدي.. ثم مع أمك الرائعة في الساعة الأخيرة. كنا ننفذ دور طلب يد كاترين الشقراء. أريد أن يظهر المشهد أقل رسمية، ومع ذلك ملوكياً.

وفهمت بريتا، كان ارتياحها شديداً إلى درجة أحست بالخدر.. وسألت: «وهل هذه خطوة كبيرة لك أن تلعب دوراً رئيسياً كهذا؟».

ـ كثيراً.. إنه تحد.

وصلت ماريون بصينية الشاي، ووقف لويد ليساعدها. فانتهت لحظة الانسجام النادرة. دار الحديث عن جولة لويد ثم عن امتحانات بريتا.. بعد قليل اعتذرت بريتا لتصعد وتغير ملابسها وتعود للدراسة، وتركت الاثنين مستغرقين بنقاش عميق.

في هذا العصر الدافىء، أحست بريتا بالنعاس.. كانت تعيد النظر بالملاحظات التي سجلتها في المدرسة خلال النهار، حين تحولت عيناها نحو بوابة الحديقة المواجهة تماماً لنافذتها.. كانت سيارة تاكسي تقف هناك ومحركها دائر.. وبدأ قلب بريتا يضج وهي تتعرف إلى الرجل الطويل الأسود الشعر الذي كان يدفع الأجر للسائق.. أبي! وصل دون توقع ودون إعلام مسبق.. ولسوف يدخل من الأبواب الزجاجية للشرفة السفلية كما فعلت، وإذا شاهد هنري الخامس وهو لا يزال يتودد لكاترين بذات الطريقة.. اتخذت قدماها جناحين، وطارت إلى الأسفل لتقتحم غرفة الجلوس وتنتزع السيناريو من يد أمها المذهولة.

ـ اذهبي إلى المطبخ بسرعة.. الآن.

ركضت ماريون دون وعي تستعد لمواجهة الكارثة التي تنتظرها، دونما سؤال.. بينما لوحت بريتا بيدها نحو لويد وقالت آمرة:

ـ هيا أكمل.. سأمثل الدور بسرعة.

قطب بذهول.. لكنه أطاع. أعطته أطراف أصابعها، ثم رفعت رأسها بطاعة لينحني لويد ويقبل أحد خديها ثم الآخر.. ودار رأسها لثوانٍ،

فكادت تنسى ما تفعل وما سببه. ثم تراجع لويد لينحني بأدب رشيق، بينما غاصت في المقعد لاهثة، ثم قفزت مجفلة لسماعها التصفيق من الباب المفتوح.

قال سايمون ديلاني: «براڤو».

وخطا إلى الداخل ينظر إلى لويد رافعاً حاجبيه الأسودين.

رمت بريتا نفسها عليه: أبي!

احتضنها يقبلها، ثم أبعدها قليلاً لينظر إلى الرجل الآخر.. فقالت بسرعة:

ـ هذا لويد تشايلد أبي.. صديق باول بيركنز.. إنه يقيم في المنزل الكبير.

ـ مرحباً يا بني.. كيف حالك؟ هل تتدرب لمسرح الهواة؟

رد لويد الابتسامة:

ـ سعيد لمعرفتك سيدي.. في الواقع أنا محترف، وسأبدأ التدريب فعلياً في الأسبوع القادم.. عائلتك ساعدتني بكل لطف في حفظ دوري.

ـ حقاً فعلوا؟

صمت سايمون لظهور ماريون، وبدا غاضباً قليلاً.

ـ بريتا.. ليس لدي فكرة عمّ.. سايمون!

جف الدم عن وجه ماريون وهي ترى فجأة زوجها المتصلب الجسم.. حدقت به فاقدة النطق وسارعت بريتا تمسك يد لويد وتقترح قائلة:

ـ فلنخرج لنتمشى.

وافق لويد فوراً، ولم يبدُ على أحد من الزوجين أنه أحس بخروجهما... سارت بريتا أمام لويد في الممر الموصل إلى الغرفة الصيفية، لتنهار فوق كرسي هزاز داخلها، بينما استند لويد إلى إطار الباب يسأل وعيناه تلمعان:

ـ ما معنى كل هذا بحق السماء؟

أعطته بريتا صورة مختصرة عن الشقاق بين والديها، وشرحت له كيف رأت والدها من النافذة:

ـ تصورت أبي يدخل ليرى ما رأيته حين عدت من المدرسة.. فركضت

كالمجنونة.

سأل لويد: وماذا رأيت بالضبط؟

ـ أنت وأمي في عناق ظاهر. لكن حين أوقفت المشهد وناقشتما طرق تحسينه، أدركت أن العناق كان.. كان..

ـ.. مجرد تمثيل.

ـ أجل.. كلاكما جيد.. تمثيلكما مقنع. لذا حين ظهر أبي، ولم تكن تعرف أنه قادم، أدركت أنكما ستكونان في منتصف المشهد.. ولا شيء في الدنيا كان سيقنع أبي أن كل هذا تمثيل، أؤكد لك.

جلس لويد على السلم ينظر إلى الشجيرات المزهرة في الخارج:

ـ أمك سيدة جميلة بريتا قلباً وقالباً. لكنني متأكد من أن هذه الفكرة لم تخطر لها. وأنا واثق جداً أنها تصنفني كصورة كبيرة عن جون أو ريك.

ـ أظنها من النوع الذي يخلص لرجل واحد فقط. وكل ما أتمناه أن تتمكن من إقناع والدي بهذا الواقع..

ابتسمت له بخشونة، وأكملت:

ـ أشعر بالسخافة لوجودي هنا معك.. لكن آخر شيء أريده هو مقاطعتهما في هذه اللحظات.

أغمضت عينيها بشدة، وانسابت دمعة عبر رموشها السوداء الكثيفة:

ـ أوه.. أرجوك يا الله، ليكن صلحاً بينهما!

مد لويد يده يشدها لتقف:

ـ تعالي.. لنذهب إلى منزل بيركنز، ونأخذ غوليات في نزهة..

ترددت بريتا، ثم هزت رأسها موافقة.

فتح باب المطبخ، وحضرت بريتا نفسها، بينما اندفع الحارس الألماني ليحييها بمحبة مليئة بالحماس..

قالت محتجة تضحك بعد أن ألصقها بالجدار:

ـ مرحباً غوليات.. اتركني أيها الفتى الطيب.

قال لويد مبتسماً: «لا يستطيع مقاومة سحرك».

أخذ رباطاً جلدياً من تعليقة، وربط الكلب الضخم به. وتمتمت بريتا:

ـ هذا شيء جيد. من اللطف أن يعرف المرء أنه لا يُقاوم ولو كان هذا بالنسبة لكلب فقط.

أقفل لويد الباب وقال ممازحاً:

ـ أتبحثين عن إطراء؟

ـ لا.. لكنني مقتنعة أن الرجال يحبون النساء المكتنزات الجسم، وأنا بكل أسف ينقصني هذا.

ضحك عالياً وهما يغادران الحديقة نحو الغابة خلف المنزل.

ـ لك وجه صغير جميل، حبيبتي. الكثير من النساء يتخلين عن أي شيء ليأكلن قدر ما تأكلين دون زيادة وزن.. ولا زلت أعاني الكوابيس حين أتذكر أنني ظننت نفسي أرغب في طفلة في الثانية عشرة من عمرها.

ـ هكذا إذن.. من المؤسف جداً أن الصورة الأكبر سناً لم تستهوك.

ابتسم لوجهها المندهش:

ـ ومن قال هذا؟ لقد انزعجت منك كثيراً يا حوريتي، لكن هذا لم يلغ إحساسي تماماً..

نظرت بريتا إليه بارتياب فتعثرت بغصن شجرة ووقعت على الأرض، وخرّ لويد على ركبتيه إلى جانبها فوراً:

ـ هل آذيت نفسك؟

ـ لا.. خائفة، لكنني سالمة.

ضحكت مقطوعة الأنفاس، فتغير التعبير على وجه لويد ورفعت بريتا وجهها إليه بهدوء وابتسامتها تتلاشى.

قال بنعومة: «في هذه اللحظات، قررت أن أحتضنك.. آنسة ديلاني.. فهل لديك اعتراض؟».

لم يكن لديها اعتراض أبداً.. هذا ما كانت تريده منذ وقعت عيناها عليه أول مرة.

وفهم لويد صمتها على أنه رضى، فأخذها بلطف بين ذراعيه. وبقيت

بريتا مسمرة لفترة.. تنهدت وتململت بين ذراعيه، فاشتدتا حولها. رفع لويد رأسه قليلاً لينظر إلى وجهها المتورد المستند على كتفه.. وفتحت بريتا عينيها السوداوين لتنظر مباشرة إلى عينيه.. استطاعت أن ترى كل شظية ذهبية في العينين الفضيتين، وراقبت بذهول اتساع البؤبؤين السوداوين بنظرة جعلت قلبها يدق كالمطرقة في صدرها.

للحظات طويلة، نظرا في عيون بعضهما. ثم انخفضت رموش بريتا، ولم تعد تشعر إلا بذراعيه حولها.. وزاد ضغط ذراعيه، كمن يطلب استجابة ما، ثم.. تشوش كل شيء مع قفز غوليات عليهما، لاعتقاده أن هذه لعبة جديدة يستطيع أن يشارك فيها.

صاح لويد هادراً:

ـ ابتعد.. أيها الأبله!

وتلاشت لحظة السحر وهما يقاومان الكلب الهائج. أخيراً تمكنا من الوقوف ضاحكين.

قال صاحبه: «أنت غير مرغوب بك الآن».

لكن الكلب هز ذنبه بقوة، وأمسك بفمه عوداً وضعه عند قدمي لويد وقالت بريتا:

ـ أظنه يريدك أن ترميه له.

ـ أعرف هذا جيداً.. الأبله.

ورماه بعيداً، فانطلق الكلب بين الأعشاب يبحث عنه..

ـ أنا آسف لهذا بريتا.

هزت كتفيها دونما اكتراث، وتابعت سيرها: «هكذا أفضل.. حقاً».

أمسك يدها: «إذن أنت لا تنوين أن تفقدي صوابك من أجل ممثل لا عمل ثابت له.. ربما ستجدين أفضل مني حين تصلين إلى أوكسفورد.. ربما سينظر طالب لامع نظرة واحدة إليك».

قالت ساخرة: «فأفقد صوابي».

ومدت يدها لتأخذ العود الذي جاء به غوليات، وتسأل:

- ماذا سيحصل لهذا الكلب وأنت في جولتك؟

اكفهر وجهه:

- عادة، تأخذه أختي. إنها متزوجة وتعيش في «غلوتشستر» لكنها الآن على وشك إنجاب أول طفل لها.. لذا لن أستطيع إجبارها به هذه المرة. وأبواي عجوزان جداً. أعتقد أنني سأضعه في مؤسسة لتربية الكلاب.

قالت بريتا متهورة: «يمكننا أن نأويه.. تخلينا منذ مدة قصيرة عن كلبنا العجوز، وكلنا نفتقده.. وسوف أعتني به لأجلك بكل سرور».

- حقاً؟ ألن تعترض ماريون؟

- لا.

وتنهدت.. إنها واثقة، أنه لو اصطلح الوضع بين أبويها، أن أمها لن تعارض.

سألها بلطف: «ما بك؟».

- أتساءل كيف تجري الأمور الآن في المنزل.

قال فوراً وهو يصفر لغوليات:

- تعالي.. لنعد ونكتشف ماذا يجري.

بدلاً من التوجه إلى باب الشرفة المؤدي إلى غرفة الجلوس، فارقت بريتا لويد عند البوابة، والتفت إلى خلف المنزل، تحدث ضجيجاً قدر المستطاع في الممر المفروش بالحصى حتى باب المطبخ.. لكن تحذيراتها لم تكن ضرورية.. فمن نوافذ المطبخ المفتوحة رأت والدها يجلس فوق حافة طاولة المطبخ، وفنجان قهوة في يده، وساقاه تتأرجحان، وهو يراقب زوجته التي شع وجهها بالمرح والسعادة.

ثم دخلت الباب وقالت «مرحباً.. ماذا لدينا للعشاء؟».

تهلل وجه سايمون ديلاني، ونزل عن الطاولة يحتضن ابنته.

- اقترحت الفطائر..

قاطعته ماريون بابتسامة وضاءة: لكنني أصريت على لحم عجل.

***

٣ - رحل ولم يعد

جاءت شقيقة ماريون الكبرى، جيني، على مضض لتقيم مع بريتا وأخويها لأسبوع بينما يذهب سايمون وماريون إلى باريس في عطلة قصيرة.. في اليوم الذي سافرا فيه، غادر لويد في جولته، تاركاً غوليات، كعزاء لبريتا.. بعد عطلة باريس، عاد سايمون إلى الخليج، وعادت جيني إلى هامبستيد، وعادت الحياة إلى طبيعتها.

صحيح أن بريتا هامت بحب لويد، لكنها كانت تعي أن ذلك الرجل مشروع بعيد الأمل. تهافت عليها شبان كثر منذ كانت في السادسة عشرة. لكن، مقارنة مع لويد تشايلد، بدا هذا الأخير كأحد الآلهة الخالدين في جبل أوليمبوس. إضافة إلى هذا، إنه ممثل.. صانع أوهام، معتاد على التقمص في لباس شخصيات مختلفة، وتنهدت بريتا، ثم عادت إلى كتبها.

أخذ قلق ماريون يزداد مع قرب الامتحانات. أصبحت بريتا مرهفة أكثر وازداد اتساع عينيها..

في الأسبوع القادم سيأتي لأخذ غوليات، لهذا كانت الإثارة المتصاعدة والترقب يرهقانها. هل سيمضي الليل هنا؟ هل سيعانقها مجدداً؟

يوم وصول لويد، هرعت بريتا من الباص إلى المنزل كالمجنونة. تريد خلع ملابس المدرسة، لترتدي شيئاً أكثر نضوجاً قبل وصوله. لكن القدر كان يعاكسها، كانت سيارته متوقفة أمام المنزل. دخلت وهي تحاول امتلاك نفسها، آملة أن تتسلل إلى غرفتها دون أن يراها أحد. لكن صوت ماريون ناداها من غرفة الجلوس.. لعنت حظها ورمت حقيبة المدرسة، ودخلت..

وها هو.. يبدو قوياً وأكثر جاذبية، وكان معه صحبة.. وغار قلب بريتا وهي تنظر إلى المرأة الشابة الواقفة قربه. كانت طويلة، وشعرها أشقر كثيف متجعد، ترتدي بنطلوناً أسود جلدياً وكنزة كشمير بيضاء.

ابتسم لويد بدفء «بريتا! مرحباً صغيرتي».

تمهّلت بريتا لحظة، لتقبل أمها، ثم اكتشفت أنها قادرة على أن تبتسم مرحباً.

قال لويد مبتسماً لرفيقته:

ـ لقد جئت بأيف روس لمقابلتك.. أيف هذه بريتا.

تكور فم أيف الجميل بابتسامة فاتنة، إنها معروفة جداً في إعلانات مساحيق التجميل التلفزيونية.

ـ سعدت بلقائك حبيبتي... لقد أخبرني لويد الكثير عنك.

ـ حقاً فعل؟

ردت بريتا بأدب: «لا داعي لأن يقول الكثير عنك آنسة روس.. فنحن نراك دائماً على شاشة التلفزيون».

كشرت الفتاة: «لم أفعل شيئاً هاماً حتى الآن، لكني أطمح للأفضل».

كانت عينا ماريون تراقبان وجه ابنتها الشاحب الجامد فتدخلت بسرعة:

ـ اجلسوا جميعاً، وسأصب الشاي.. بريتا، مرري الأطباق حبيبتي.

أشعلت أيف سيكارة واستندت إلى ظهر الصوفا ترتشف الشاي:

ـ أعتقد أنني مدينة لك بالكثير سيدة ديلاني.

ـ لم أفعل الكثير.. حقاً. أنا لم أكن يوماً ممثلة كلاسيكية، لكنني مرحت كثيراً في مساعدة لويد.. استعدت ذكريات الماضي.

قالت أيف: «من المؤسف أنني لم أستطع المجيء معه، لقد التقطت عدوى لعينة، وقاومت كثيراً لأتعافى وأرافقه في الجولة».

سأل لويد: «وكيف تسير الأمور معك بريتا؟ هل كل شيء جاهز للامتحان؟».

تجنبت نظرته المتسائلة:

ـ «كنت أجاهد منذ أسابيع.. وغوليات يشكل زجاجة ماء ساخن رائعة تدفئني.. أبن هو، على فكرة؟».

ابتسم ابتسامة غريبة: «محبوس في المطبخ».

ملست أيف جلد البنطلون على أردافها:

ـ لم يكفّ عن القفز عليّ حتى كاد يمزق البنطلون.. يجب أن نجد له منزلاً آخر، بعد أن نتزوج. من الظلم حبسه في شقة صغيرة في لندن، طوال اليوم.

لم يظهر على وجه بريتا أي شيء من انزعاجها الداخلي، وهي تنضم إلى أمها في شهيق الدهشة والتهنئة. ظهر في عيني لويد تعبير غريب.. وكأنه اعتذار.. لكنها سرعان ما استبعدت الفكرة.. ليس للويد سبب يدعوه للاعتذار، على الأقل ليس لها. وأخذت تصغي بأدب لمشاريعهما المهنية.

تنهدت ماريون بارتياح وهي تقفل الباب وراء الزائرين.. وقالت بأسى:

ـ أعتقد أن هذه آخر مرة سنرى فيها لويد تشابلد بعد أن أصبح على طريق الزواج. لكنني لا أستطيع تصوره كشريك عمر للشقراء أيف.

التقطت بريتا حقيبة مدرستها:

ـ هذا صحيح تماماً.

لقد قالت له مرة إنها غير بارعة في الادعاء.. ولكنها يجب أن تنال ميدالية أخرى لتمثيلها الرائع اليوم...

هناك عدد كبير من الأشياء التي يمكن لفتاة متعقلة أن تفعلها لتسرّع شفائها من الحب الأول.. وأمرت نفسها: بريتا، اردمي الفجوة التي في قلبك، بأسرع وقت ممكن.. وتابعي حياتك.

حمل لها اليوم التالي إحباطاً لمشروعها.. لم يكن لديها مدرسة، فاليوم سبت. لكنها استيقظت باكراً، لتجد الصباح قاتماً ورمادياً، يماثل مزاجها تماماً.. أحست أن المنزل يقيد من حريتها كقفص، فارتدت كنزة صوفية

سميكة فوق ثيابها، وخرجت من المنزل بهدوء. قادتها قدماها إلى الحديقة المغطاة بالضباب، ثم إلى الغرفة الصيفية، باندفاع العادة.. في الداخل، كان الجو بارداً رطباً، فارتجفت. جلست على الكرسي الهزاز، تحدق ببؤس عبر النافذة المتسخة، ظلت مسمّرة لمدة طويلة، إلى أن انفجر السد. ووضعت ذراعيها على الطاولة المتسخة لتبكي بمرارة، وفكرة عدم رؤية لويد مرة ثانية تؤلمها ألماً شديداً. بقيت في مكانها مدة طويلة بعد أن توقفت عن البكاء، وجهها الدافىء مختبىء بين ذراعيها، إلى أن أعادتها لطمة تحت المرفق إلى وعيها. انتفضت وشاهدت غوليات يجلس أمامها، ينظر إليها.

ركعت على ركبتيها، ترمي ذراعيها حول الكلب:

ـ غوليات! ظننتك رحلت.

أجفلت مرة أخرى لسماع سعال من على الباب، التفتت لتنظر بعدائية إلى عيني لويد المتعاطفتين.

دونما لباقة، قالت: «وظننتك أنت كذلك رحلت».

ـ لقد بقينا الليلة مع السيد بيركنز.

قطب لويد بلهفة لرؤية وجهها الدامع:

ـ لِمَ الدموع بريتا؟ هل أنا السبب؟

أرجعت شعرها المشعث إلى الوراء، ودست يديها في جيبي سترتها الصوفية.

ـ يا للسماء.. لا! نوبة اكتئاب فقط. الدراسة تنهك الإنسان بعد وقت ما.

دخل لويد الغرفة.. وضع إصبعاً تحت ذقنها ورفع وجهها إليه:

ـ هل هذا هو السبب الوحيد؟

نظرت إليه بعناد: «طبعاً.. لم نهضت باكراً؟».

ـ لآخذ غوليات في نزهة قبل رحلة السيارة، وقادني إلى هنا مصمماً.. لا بد أنه اشتم وجودك.. تبدين تماماً كما بدوت في أول يوم، إلا أنك الآن أكثر شحوباً.

ازداد شحوبها:

ـ إذن أول انطباع وآخر انطباع لك، متطابقان تماماً.

جلس لويد على حافة الطاولة:

ـ لماذا يجب أن يكون الانطباع الأخير؟ بالتأكيد ستتقابل بين حين وآخر.

ـ بالكاد يبدو هذا ممكناً.. آنستك.. روس، ستأخذ كل وقتك، كما أتصور.. ولن تتاح لك فرصة لقاء من تعرفهم.

كان في عينيه تعبير غريب، مزيج من الغضب والألم.

ـ ظننت أننا صديقان بريتا، وليس مجرد معارف.

قالت ببرود: حقاً؟

قفز واقفاً وأمسكها بكتفيها.

ـ أنا أفكر بك وبأمك، كصديقين طيبين. ألا تستطيعين التفكير بي بالطريقة عينها؟

تلاشى تماسك بريتا للمسته:

ـ لا.. لا أستطيع. أنا أكرهك.. أتمنى لو أنك لم تأت إلى هنا لتقلب حياتي رأساً على عقب.. منذ ظهورك، لم أتمكن من العمل أو الدراسة.. أمر مثير للشفقة.. أليس كذلك؟ مراهقة عالقة في حبها الأول.. أمر مسل للجميع ما عدا الحمقاء السخيفة التي تعاني!

حاول ضمها: «كفى بريتا.. لا تفعلي...».

قاومته بعنف، فتركها.

ـ لا تقلق.. لن أسبب لك إحراجاً.

تمتم بشتيمة، وأمسكها يهزها بعنف، ثم ضمها إليه ليختفي وجهها في كنزته حيث استطاعت الإحساس بالدفء وسماع ضربات قلبه الثابتة على خدها.

قال بصوت أجش: «اصغي إليّ بريتا.. لا.. لا تتراجعي عني.. إذا كان هذا يريحك، سأعترف أنك تغريبني بقوة.. ومنذ البداية.. حتى حين ظننتك طفلة».

تراجع رأسها بتكذيب، واتسعت عيناها حين رأت الصدق في عينيه.

وتابع: «لكن، حتى لو كنت أكبر سناً مما ظننتك، فأنا لا أزال أكبرك ولي خبرة كبيرة في الحياة.. أمامك مستقبل مهني رائع. في يوم ما، ستلتقين رجلاً يستحقك.. وليس ممثلاً مؤقت العمل مثلي. أنت تستحقين شخصاً أكثر استقراراً يوفر لك الأمان. أنا متأثر بك.. لكنني كذلك متأكد أنك ستنسين كل شيء عني في وقت قصير.. هذه طبيعة البشر.. لهذا أتيت بأيف لتراك..».

قاطعته تنهي له كلامه: «إنه الطريق المختصر.. لتتجنب المشهد الذي جعلتك تواجهه هذا الصباح».

- بصراحة.. أجل.. أنا وهي.. صديقان قديمان.

- تعني أنكما عشيقان.

طال صمته وهو ينظر إليها.. ثم تنهد وانحنى يعانقها بسرعة، ثم شهق ورفع رأسه:

- يا إلهي! أنا آسف بريتا، ما كان يجب..

- لا حبيبي.. ما كان يجب!

أبعد الصوت الساخر بريتا ولويد عن بعضهما بعضاً، وجه بريتا يكاد يحترق سخطاً لرؤية ايف الأنيقة، تقف دونما اكتراث في الباب.

صاح لويد غاضباً: «ماذا تفعلين هنا إيف؟»

ردت: «أنا من يجب أن تسأل حبيبي؟ لقد حان وقت ذهابنا، لمحت كلبك المخلص من نافذة غرفة النوم، فجئت إلى هنا لأتحرى».

- كنت أودع بريتا.

ضاقت عينا إيف الجميلتان بسخرية: «هذا ما رأيته ملاكي.. هذا ما رأيته! لكن بحماس مبالغ فيه.. ألا تظن ذلك؟».

انزعجت بريتا وقالت ببرود:

- أوه.. أرجوك لا تقلقي آنسة روس.. أنا في التاسعة عشرة من عمري.. وتجاوزت مرحلة روضة الأطفال.

استدارت إلى لويد: «وداعاً.. وحظاً سعيداً».

انحنى يقبل يدها: «وداعاً بريتا.. أتمنى كل النجاح لك، صغيرتي».

راقبتهما ايف بانزعاج: «أتمنى أن نذهب الآن حبيبي.. أرجوك؟».

- طبعاً.

صفّر لغوليات، وأخرج ايف من الغرفة. وراقبتهما بريتا يبتعدان. قبل أن يغربا عن نظرها، ارتدّ لويد لينظر نحوها لحظة، إلى الجسم الصغير الوحيد الذي يراقبه.. ولوح لها.. ثم غابا وبقيت بريتا وحدها.

* * *

٤ ـ أمنيات لن تتحقق

كان المكان هادئاً في الخليج الصغير البعيد عن الأنظار.. الطريق الوحيد نزولاً إلى الشاطىء الخاص، يمرّ بالكوخ عند قمة المنحدر الصخري. الطريق ضيق شديد الانحدار، لكن من الممكن السير فيه دون كثير من الصعوبة. وهذا ما أفرح بريتا.. كان الكرسي الخشبي القديم الطراز، ثقيلاً للحمل نزولاً ثم صعوداً.. لكنه كان يستأهل العناء حين تفتحه وتستلقي عليه فوق حصى الشاطىء وهي تتنهد، ويسترخي جسمها. لا زالت الشمس دافئة، ووجبة المساء كانت جاهزة في الكوخ.. ولفترة قصيرة لا شيء تفعله أبداً. لا شيء تفكر به...

استلقت دون حراك في شبه إغماءة إلى أن أحست بلسان دافىء خشن على وجهها جعلها تجفل، وأخافها حتى الموت.. صرخت واقفة، لتنظر إلى وجه ذكي لكلب حراسة ألماني طويل الشعر.

صاحت بذهول: غوليات؟

ثم صمتت.. حمقاء! غوليات الآن عجوز هرم، وهو لا يشبه هذا الكلب الذي لا يزيد عمره عن السنتين.

سألته: «من أين أتيت؟ هذا شاطىء خاص.. ألا يمكنك أن تقرأ؟».

وضحكت عالياً وهو يميل رأسه إلى جانب واحد وكأنه يحاول أن يرد. حكت له رأسه وتركها الكلب بإذعان تنظر إلى اللوحة المعدنية الصغيرة المعلقة في رباط جلدي حول عنقه، تحمل اسمه، واسم عائلة ريفرز ورقم هاتف.. اسم الكلب، براون.

ـ حسن جداً براون.. هيا تكلم، من أنت، وأين تعيش؟

ضحكت مرة أخرى، وبدأت تلملم أشياءها، للعودة إلى الكوخ.. لحق بها الكلب وهي تسلك الممر ودخل الكوخ معها. وضعت الكرسي جانباً ودخلت عبر غرفة الجلوس إلى المطبخ، والكلب يشتم الرائحة الزكية المنبعثة من الفرن.

بعدما أطعمته استلقى على الأرض يراقبها وهي تحضر المائدة للعشاء.. وعندما سمع أصواتاً في الخارج، رفع أذنيه. تقدمت بريتا إلى الباب لتستقبل شخصين مشعثين، أحدهما ضخم والآخر صغير وتبعهما فتى أسود الشعر قد لوحته الشمس. كان الصغير يتصبب عرقاً.

ـ مرحباً.. هل كان يومكما جيداً؟

ركض الصغير إليها يدس رأسه فيها، واتسعت عيناه خوفاً لرؤية الكلب.

أكدت له بريتا:

ـ إنه كلب لطيف لاري.. لن يعضك.. اسمه براون.. أعتقد أن عليّ أن أطلب رقم الهاتف الذي على لوحته.. قد أجد أحداً يستطيع أن يدلني على صاحبه.

قال ريك: «فكرة جيدة.. هل وضبت لي كل أغراضي؟».

ـ طبعاً.. بما أن هذا هو السبب الوحيد لاقناعك بأخذ أدي إلى البلدة، فمن غير الممكن أن أنسى! اغتسل بعد العشاء بينما أضع أدي في الفراش، ثم أعدك أنك ستتمكن من الجلوس مستريحاً أمام التلفزيون طوال المساء.

كان الصبي الصغير نائماً قبل أن تغير بريتا بنطلون الشورت لترتدي بنطلوناً طويلاً من القطن بلون وردي وكنزة قطنية مشغولة باليد. ثم نزلت لتجفف الأطباق التي غسلها ريك.. حوّلا قطعة قماش إلى رباط للكلب وربطها ريك إلى الطوق الجلدي حول عنقه، بينما أحضرت بريتا بعض النقود المعدنية..

تثاءب ريك بقوة:

ـ حسناً ريك.. أراك فيما بعد.

سار الكلب في أعقاب بريتا وهي تقطع الطريق الترابية الموصلة إلى الشارع الرئيسي. . بعد مسافة قليلة، بدأ شخص من بعيد يركض وراءهما ويصيح باسم الكلب. . ونبح براون باهتياج، وشد بالحبل. فتركته بريتا يذهب. انطلق كالريح نحو المرأة التي عانقته بمحبة، ثم أعطته محاضرة قاسية وهي تربطه إلى سلسلة وتتقدم إلى بريتا، وابتسامة شكر تضيء وجهها وهما تلتقيان. . كانت في أواخر الثلاثين، طويلة بوجه شديد السمرة، ترتدي تنورة قطنية وقميصاً باهظي الثمن.

ـ شكراً جزيلاً لك. أعتذر عن كلبي. . أين وجدته؟

مدت يدها مبتسمة: «أنا غايل ريفرز».

ـ مرحباً. . هو الذي وجدني. . إنه جميل جداً.

ـ طبعاً. . أنا فعلاً ممتنة. . وأتمنى لو أستطيع دعوتك لشرب شيء عندي. . لكن. .

ـ لا أستطيع على أي حال.

ـ لدينا منزل للعطلة هنا. . نأتي كل سنة، هل ستقيمين هنا لمدة طويلة؟

ـ سنبقى في الكوخ الذي على الصخور حتى نهاية الشهر.

غطت بريتا الارتباك بأن انحنت تداعب رأس براون.

ـ وداعاً براون. . سررت بمقابلتك، وأنت كذلك سيدة ريفرز.

ابتسمت، ولوحت بيدها وعادت في الطريق الذي جاءت منه، تحس باضطراب غريب. . لا بد أن السبب هو الحديث مع شخص راشد. . كان الجو هادئاً حتى الآن. . لكن في الغد، سيسافر ريك إلى اسكتلندة ليقيم مع صديق له لما تبقى من العطلة، وستبقى وحدها مع لاري. ربما أخطأت حين أتت إلى مكان هادىء كهذا لكنها لم تشأ أن تفوت فرصة الحصول على كوخ قرب البحر، مجاناً، وخلال عطلة المدرسة كان بإمكانها أن تدعو صديقة للإقامة معها لكن الأماكن المعزولة لا تستهوي الجميع، خاصة مع صبي في الخامسة من عمره.

بدأ اليوم التالي بانهماك كبير حتى لا يتأخر ريك عن موعد التاكسي. .

لوحت بريتا بغصّة للشاب المهتاج إثارة وهو يرحل، ويد لاري الصغيرة في يدها. تركته يساعدها في تحضير سندويشات النزهة.

قامت هي ولاري بجولة فوق الصخور للنظر إلى البرك المائية الصغيرة، وعادا أخيراً إلى مخيمهما الصغير ليجدا فتاة مراهقة وصبياً صغيراً يقفان هناك. كانت الفتاة تحمل سلة وتبتسم بخجل مع اقتراب بريتا.

ـ هل أنت السيدة التي في كوخ الصخرة، أرجوك؟ أنا أليسا، من المحل في البلدة، وهذا أخي نان.

ابتسمت بريتا بمودة: «مرحباً. . أعتقد أنني رأيتكما هناك منذ مدة».

ـ هذا صحيح.

مدت اليسا السلة: «مطلوب مني أن أوصل هذه. . إنها من السيدة ريفرز. . ولقد وضعت فيها رسالة صغيرة».

كانت السلة تحتوي على الفريز، والخوخ، وكرتونة كريما، وجرة فخارية من الجبن، وتقول الرسالة المستعجلة «تعبير صغير جداً عن الامتنان لمنقذة براون. . حتى إنني لم أعرف اسمك! أعرف أن الزهور متعارف عليها أكثر، لكنني فكرت أن هذه المحتويات مفيدة أكثر، في العطلة. . أشكرك مرة أخرى، غايل ريفرز».

أحست بريتا بسعادة مطلقة:

ـ كم هذا جميل! انظر لاري أليست عظيمة؟

لكن لاري كان مشغولاً بالنظر بشراسة إلى نان، الذي كان يرد له عبوسه، فضحكت وشكرت أليسا لإيصالها الهدية.

سأل لاري متجهماً: «هل يعرف كيف يلعب؟».

ـ لست أدري. . ولا أمانع. . لكن قد لا يكون نان يريد هذا.

قالت اليسا: «يجب أن أسأل أمي أولاً».

ردت بريتا على الفور: «طبعاً. . إذا وافقت أحضريه بعد الغداء».

لكن نان عاد في العاشرة صباحاً، مجهزاً بسلة طعام، ورسالة من أمه تدعو لاري إلى الشاي عند أسرة جايسون لمشاهدة التلفزيون أو اللعب مع نان

في الحديقة خلف المحل . . وقال لاري بنفاد صبر :

ـ طبعاً أرغب!

هكذا أسرع لاري إلى محل جايسون مع نان، دون أن ينظر خلفه. وهزت بريتا كتفيها، ثم عادت إلى الكوخ، مصممة على التمتع بالساعات المشمسة الأخيرة قبل أن تحجب زاوية الصخور الحادة أشعتها عن الخليج الصغير. سبحت قليلاً، ثم عصرت شعرها من الماء، واستلقت على الكرسي الخشبي. وأغمضت عينيها لتتمتع بلحظات الصفاء . . فبغياب لاري من السهل جداً أن تغفو على الفور تقريباً.

حلمت في شبه يقظة بأنها في غابة مسحورة، تستلقي فوق فراش ناعم من أوراق الزهور، وجاء أمير ليقبلها . . فاستيقظت مجفلة لتجد براون يلعق وجهها ويربت على كتفها.

ـ أنت مجدداً؟ ظننتك الأمير الفاتن، أتعرف هذا؟!

قالت ويداها على خصرها :

ـ اسمع . . لقد جئت إلى هنا وحدك . . لذا بإمكانك العودة وحدك.

لكن لا فائدة . . ما أن استدارت لتعود إلى البيت حتى لحق بها كظلها. فتنهدت ساخطة وسارت في الاتجاه الذي تعتقد أنه يعيش فيه. لم تر أي شيء لفترة طويلة، إلى أن استدار براون فجأة وتسلّل من تحت بوابة مغلقة نحو طريق زراعية . . انتظر مترقباً بريتا لتلحق به، لكنها ضحكت وهزت رأسها :

ـ لا يا صديقي الذكي . . يبدو أنك وصلت البيت الآن . . لذا سنفترق . . وداعاً براون.

واستدارت مبتعدة، لكن براون خرج بسرعة من تحت البوابة، ولحق بها. فاستدارت عائدة إلى البوابة.

ـ الآن اذهب براون . . هذا يكفي . . هيا . . اذهب إلى بيتك . . لا . . لا أستطيع المجيء معك. لهذه البوابة سلسلة كبيرة، ولوحة كتب عليها «أملاك خاصة» فاذهب من هنا.

لا شيء . . من الواضح أن الكلب مصمم على البقاء معها.

ـ أتعرف براون، لو أن لي التأثير ذاته على الرجال كما على الكلاب، لما كنت أدرس في مدرسة أطفال . . حسن جداً . . أنت تكسب.

صعدت من فوق البوابة، وسارت عبر الطريق الترابية مع براون . . سرعان ما برز منزل أمامها مبني فوق الصخور. لا يظهر منه سوى سقفه الأحمر. فجأة أحست بالقلق، فكل شيء هادىء من حولها . . ربما الجميع في الخارج. وتقدمت بحذر وبراون قريب جداً منها إلى أن توقف منتصباً، أنفه يتحرك، وانطلق نحو المنزل . . هزت رأسها مبتسمة . . يا لك من كلب ناكر للجميل! دون لعقة وداع؟ ثم قفزت مجفلة مذعورة لصوت صاح بها عبر مذياع مكبر للصوت :

ـ أنت . . . هناك! أنت متسللة إلى أملاك خاصة، أرجوك اخرجي من هنا.

بالكاد صدقت بريتا أذنيها، ونظرت باتجاه صدور الصوت، غاضبة بحيث لم تستطع سوى الوقوف هناك . . وعاد الصوت الهادر ثانية :

ـ هل سمعتني؟ اخرجي من هنا!

رفعت رأسها بعنفوان وسارت في طريقها . . كل حواسها تدعوها لترك المكان في أسرع وقت ممكن . . لكن الكبرياء والعناد جعلاها تحافظ على مشية متوازنة، وكأنها عارضة أزياء على مسرح. فجأة سمعت وقع أقدام خلفها في الممر، وفي لحظة أمسك أحدهم بها بخشونة وأدارها لتواجه شخصاً نحيفاً تنعكس صورته إزاء الشمس. كانت قبعة صيد سمك منخفضة فوق نظارة شمسية سوداء، تخفي عيني الرجل.

قال بصوت أجش عميق :

ـ بما أن لك جرأة عظيمة هكذا، قررت أنك تستحقين ما جئت لأجله.

ردت عبر أسنانها :

ـ قد يدهشك أن تعرف أنني ما جئت لأجل شيء ولو تركت ذراعي . . أيها . . أيها المتسلط، سأغادر أملاكك حالاً وبكل سرور.

أخفض الرجل يده.. وتراجع وكل خطوط جسمه تعبر عن سخرية وعدم تصديق.

قال هازئاً: «توقفي عن هذا الهراء.. وأخبريني أي جريدة قذرة تمثلين، ودعينا ننهي الموضوع».

تمسك إحساس غريب بقلب بريتا.. وقالت بصوت متصلب:

- ليس لدي أية فكرة عما تعنيه.

- أوه.. هيا الآن.. بحق السماء توقفي عن الخداع والمراوغة.

سعل بشكل مؤلم لحظات ثم أكمل: «حسن سأصدق ادعاءك، اذهبي بسرعة.. أغربي.. اركضي بعيداً فلن تحصلي على ما جئت لأجله».

قالت بتوتر حاد:

- أظنك تخلط بيني وبين شخص آخر. جئت إلى هنا بغرض واحد هو إعادة كلبك. ربما تجد طريقة لإبقاءه ضمن أملاكك، في المستقبل.

- هل هذا صحيح؟ أنت لا تسعين إلى مقابلة؟

- لا.. لست ساعية إلى شيء.. ولست أدري لماذا يهتم الناس بك. لكن، من حيث أقف، لا أجد سبباً لذلك.. وداعاً سيد ريفرز.

استدارت دون اهتمام، وقطعت الحقل نحو البوابة.. وقعت قبعتها وهي في الطريق، لكنها كانت من الغضب بحيث لم تعد لتأخذها.. كان سخطها شديداً فلم تلاحظ وصول الرجل إليها. صرخت رعباً حين كاد يرميها أرضاً في محاولة للوصول إلى البوابة قبلها.. لم تستطع رؤيته عبر شعرها المشعث، ودموع الغضب التي تحرق عينيها وتغشي نظارتها.

قالت: «أنا ذاهبة.. أنا ذاهبة.. لستِ مضطراً لإخراجي بالقوة.».

ثم شهقت حين مد الرجل يده ينتزع نظارتها.

- بريتا...؟

كان صوته الأجش مرتبكاً متردداً، غير مصدق، وأجفلت. بينما كان ينتزع نظارته، ويرمي قبعته العتيقة على العشب.

وقفت مشدوهة.. إنه لويد!! شعرت بذلك حين لمسها، لكنها صرفت

النظر عن الفكرة الهستيرية. لقد مضت سنوات منذ رفست عنها عادة تخيل كل رجل طويل أحمر الشعر في الشارع على أنه هو.. كانت رؤية أي شخص يشبهه ولو من بعيد، تجعل الدم يغلي في عروقها، وتجفف فمها.. لكن هذا لم يعد يحدث.. الآن ها هو بلحمه ودمه، حقيقي، وليس ظلاً، واقع حي وليس خيالاً.. ولا شيء لديها تقوله.

كرر: «بريتا! بريتا الكبيرة.. وحق الله!».

لم تستطع الكلمات أن تعبر عن مدى دهشته.. قيمته عيناها السوداوان المعاديتان وهي تحاول إبعاد شعرها عن وجهها المبلل بالدموع.. يبدو أكبر سناً بالطبع. الشعر قاتم أكثر، تخالطه خيوط من الفضة، وعلى وجهه تنعكس القسوة والتعب. زاد من تأثير كل هذا عينان خالط بياضهما لون الدم، لكن على الأقل، كانتا كما عهدتهما، فاتحتين تلمعان كما تذكرهما. لكن «الأمير الفاتن» ذهب إلى الأبد.

مدّ لها يده: «أليس لديك ما تقولينه بريتا؟ لم تميلي يوماً للثرثرة.. كنت أفكر أن هذا غير عادي. وواضح أنك لم تتغيري».

قالت بصمت: «لكنك تغيرت»، وأخذت يده الممدودة على مضض. وقالت:

- مرحباً.. لويد. يا لها من مفاجأة... إذا كان هذا هو استقبالك العادي للزوار، فأنا أستغرب أن تجد صعوبة في إبقاء أملاكك الخاصة معزولة.

استبقى يدها في يده حين حاولت سحبها، وتفرس في وجهها جيداً:

- أنا آسف على هذا الاستقبال، لكنني ظننتك مراسلة صحفية أخرى. بيكت، صهري، لاحق واحدة بالأمس، لكنه خرج إلى مكان ما مع غايل بعد الظهر، والآخرون على الشاطىء.

قالت تسحب يدها: «ظننت أنك تنزعج حين تتوقف الصحافة عن الاهتمام بك.. كيف حالك؟».

- أتعافى من الأنفلونزا، ولهذا صوتي أجش.

- لا داعي أن أسأل عن أشياء أخرى . . فأحوالك يعرفها الجميع .
- لا زلت باردة، كما أرى بريتا .
غيرت الموضوع بحزم :
- ذكرت غايل، فهل أفهم من هذا أن السيدة ريفرز هي شقيقتك؟
- إذن، أنت التي . . بالطبع! لا بد أنك السيدة الصديقة التي يتسلل براون دائماً لزيارتها . . أتذكرين غوليات، إنه يشبهه .
- أذكره . . لم يعد حياً، كما أعتقد .
- لا . . ينام إلى الأبد تحت لوحة في حديقة غايل . . كان مولعاً بك، ألم يكن هكذا؟
- أجل، لكني أفضل ألا يولع براون بي . . فأنا لا أرغب في قضاء نصف إجازتي أعيده إلى هنا، فأواجه هذا الاستقبال .
أجفل لويد مكشراً : «أرى أنني لن أنجو بفعلتي . أعتذر بتذلل بريتا . . وجانياً كذلك . لو كان لدي أدنى فكرة أنك . . » .
- هذا ثمن الشهرة؟
- أجل . . وأنا عادة على استعداد لدفعه، لكن ليس وأنا مريض . أحاول أن أنعم بالراحة لبضعة أيام .
سألت، ولم يكن في عينيها ذرة إشفاق :
- لماذا إذن لم تسافر إلى مكان بعيد وغريب؟
- لأنني كنت مريضاً جداً ولم أستطع السفر . وجاء بي بيكت في سيارته وأصر على أن أقيم معهما هنا . . أحتاج إلى الراحة لأكون بحالة جيدة من أجل مسلسل تلفزيوني يجب أن أبدأ به قريباً .
تأثرت بريتا قليلاً :
- مسلسل آخر! يا للسماء . من قال أن التلفزيون لا يخلق نجمه الخاص .
- لكنك تنسين أنني عملت كالعبيد لسنوات على المسرح قبل أن أنجح على شاشة التلفزيون .

نظر إليها متفحصاً، وأكمل : «هل ألمح شيئاً من الاستهجان؟» .
- لا بالطبع . . أهنئك بكل صدق .
بدا غير مقتنع :
- أتمنى أن يكون ذلك صحيحاً . . على أي حال بريتا، إذا عاود هذا الكلب الأحمق إزعاجك، اتصلي بي وسآتي بنفسي لآخذه .
ضحكت : «كوخنا ليس فيه هاتف . . ثم لا أريد أن أكون السبب في فضح تنكرك» .
ابتسم قليلاً : «بإمكاني وضع قناع وعباءة . . كنت أعني أن أذهب في سيارة غايل . كانت محرجة جداً بسبب لقائها معك . كان لطفها الغريزي يدفعها إلى دعوتك لشرب شيء هنا، ولكنها لم تستطع بسبب وجودي . أحاول جهدي أن أبقى مجهول الهوية» .
ابتسمت بريتا له، كي تخفف من وقع كلامها اللاذع :
- لقد ظننت أنني سأرمي نفسي تحت قدميك لحظة أرى من أنت . .
نظرت إلى ساعتها بذعر مفاجيء :
- يا للسماء، يجب أن أذهب، لقد تأخرت .
وضع يده على ذراعها بسرعة :
- لكن، لا يمكنك الذهاب الآن! بريتا، أريد أن أعرف ماذا جرى معك طوال تلك السنوات . أين تعيشين الآن؟ كيف حال عائلتك؟ ادخلي لتناول شيء، أرجوك .
- لا . . حقاً لا أستطيع . . يجب أن أحضر لاري ولقد تأخرت، سيقلق .
تراجع فوراً :
- آه! . . هل أنت هنا في عطلة مع . . مع لاري؟ هل هو زوجك؟
نظرت إليه لاهية، وهي تستعد للتسلق من فوق البوابة :
- أجل . . ولا . . نحن هنا فقط في نعمة معزولة، في كوخ ساحر، له خليجه الخاص .

- وضع مثالي.

ووضع يديه على خصرها ليحملها إلى ما فوق البوابة، ثم أكمل:

- قد تكونين كبرت بطريقة ما بريتا.. لكنك لا زلت ضئيلة الحجم.

نظرت إليه باكتئاب عبر البوابة:

- سررت بمقابلتك لويد.. لكن يجب أن أذهب بسرعة.. وداعاً.

استدارت تستعد للركض، فصاح:

- انتظري! لماذا لا تأتين.. مع لاري.. لشرب شيء إذا لم تكوني راغبة في المجيء لوحدك؟

- شكراً لك، سأسأله.. ربما نأتي في وقت ما.

لوحت له، وانطلقت تبتسم لخدعتها الصغيرة.. الصبيانية السخيفة، ربما. لكن شرح علاقتها بلاري يعني شرح الكثير. والإفضاء بما في نفسها، عملية تجدها صعبة حتى مع أقرب المقربين.. فما بالك لو كان غريباً.. ولويد، لسوء الحظ، غريب الآن.. وجهه مألوف لها كوجهها، هذا صحيح، لكن في هذه الأيام أي هاو لشاشة التلفزيون يمكنه أن يدعي هذا.

أحست بريتا بتعب غريب وهي تسير مسرعة نحو البلدة.. كانت رؤية لويد مرة أخرى صدمة. لقد احتاجت إلى إقناع شديد لتأتي إلى هنا أساساً. لم تكن فكرة قضاء أربعة أسابيع معزولة في «وايلز» تغريها، ولم تتخيل بالتأكيد، حتى في أكثر أحلامها جنوناً، أن لويد يمكن أن يسعى للعزلة على بعد ميل أو أقل، فوق الصخور.

كان من المذهل حقاً أن يتذكرها.. عجباً! رجل مثله يقابل مراهقة غير ناجحة منذ زمن بعيد ويقضي معها وقتاً قصيراً، ومع ذلك يذكرها!.. وكم يبدو مختلفاً.. لقد اختفى الممثل الشاب الوسيم الخالي من الهموم إلى غير رجعة. يبدو اليوم وكأنه كبر أكثر من سبع سنوات.. في عينيه نظرة قاسية متعبة.. العينان ذاتهما اللتان أوصلتاه إلى الشهرة منذ أول ظهور له على شاشة التلفزيون.. لهجة دوره، كضابط ألماني يهوى مقاومة فرنسية، أثارت اهتمام كل المشاهدين البريطانيين وانهالت عليه رسائل الإعجاب.. خاصة

بعد أن أدى دور المستجوب للفتاة وهو يقف أمامها يمرر أطراف السوط بين أصابعه، وارتجفت نساء بريطانيا إعجاباً.. أحست بريتا بالشيء عينه حين رأت المشهد. الدعاية لا يمكن أن تفوتها.. كل صحيفة ومجلة كتبت مقالة ما عنه، تثني على نجاحه الهائل.

الآن، وبعد عدة أفلام ومسلسلات، يبدو لويد متعباً، وجهه أكثر خشونة، جسمه أكثر نحولاً، وأنفه أكثر بروزاً.. هزت بريتا كتفيها وصنعت لنفسها فنجان قهوة، لتعود إلى كتابتها. قررت أن تخرج لويد من دماغها.. وهذا تمرين اعتادت على ممارسته.

في الصباح التالي.. استلقت بريتا في السرير، تصغي إلى صيحات النورس وهو يدور حائماً فوق الخليج.. راقبت السماء تزداد توهجاً قبل أن تنهض من السرير. تقدمت إلى النافذة تتطلع إلى الشاطىء الصغير المهجور، سيأتي نان ليلعب مع لاري اليوم أيضاً، دون شك.. تنهدت وارتدت «البيكيني» ثم بنطلوناً قصيراً، وإحدى كنزات جون القديمة ونزلت لتبدأ تحضير الفطور.. بعد ساعة، كانت ولاري على الشاطىء.

تقدم الولدان منها وقال لاري:

- نشعر بحرارة شديدة.. أيمكننا أن نشاهد التلفزيون في المنزل؟

ابتسمت: «حسن جداً.. لكن لفترة قصيرة.. مفهوم؟».

اهتز الرأسان الأسودان موافقة وصعدت بريتا الممر الشديد الانحدار مع الصبيين، أدخلتهما الكوخ وأدارت جهاز التلفزيون، ثم تركتهما، وعادت إلى الشاطىء.. بعد قراءة فصلين من كتابها، سمعت وقع خطوات فوق الحصى خلفها فأقفلت الكتاب، لتقول دون أن تلتفت:

- لم يطل الأمر كثيراً.

وأخذت تفتش في حقيبة النزهة:

- أترغبان في شراب بارد؟

- شكراً.. أنا أرغب.

استدارت بريتا لسماعها صوت لويد المتحشرج. رفعت نظرها إليه

بدهشة:

- ماذا تفعل هنا؟ ألا تخشى أن يعرفك أحد؟

جلس لويد إلى جانبها، وخلع نظارته. نظر إليها مبتسماً ابتسامته التي أصبحت مألوفة وأحست بريتا برغبة في الابتسام رداً.. لكنها تذكرت كيف يبتسم على الشاشة، مما جعل تلك الابتسامة التي كانت تخطف أنفاسها أقل أهمية الآن.

قال:

- لم أر أي شخص هنا. الجميع على الشاطىء أو يتسوقون.

- على أي حال.. وصلت أعلى الطريق الترابية في سيارة غايل.. لم أطرق الباب، لأنني رأيتك هنا، وحدك.

نظرت بريتا إليه من فوق إلى تحت باهتمام صريح.. بدا حسن المظهر في بنطلون قصير كاكي اللون وقميص أبيض، وحذاء من القماش المحبوك.. وسألها متعجباً: «هل من عيب؟».

قالت صادقة:

- لا.. إنك محظوظ لأنك اكتسبت اللون الأسمر بسهولة، بينما نوع بشرتك يجب أن يحترق ويصبح بلون الكركند الزهري.

ضحك لويد: «أنا لا أمتلك هذا النوع الذي يتماشى مع الشعر الأحمر، وهذا سرّ سحري».

هزت رأسها نفياً.. ثم استدارت لتتطلع إلى البحر بصمت.. راقبها قليلاً ثم تنهد: «ألن تسألي على الأقل، لماذا أنا هنا؟».

- لماذا أنت هنا؟

- تريد منك غايل أن تأتي إلى «القمة» هذا المساء لشرب الشاي الذي لم تستطع أن تعرضه عليك منذ أيام. إنها متلهفة للتعويض. لن يكون هناك سوى بيكيت، زوجها، وأنا.. وتطلب منك أن تحضري معك.. ما اسمه؟ لاري؟

- هذا هو اسمه لكنه لن يتمكن من المجيء، وأخشى ألا أستطيع أنا

كذلك.. أرجوك.. أشكر عني شقيقتك كثيراً. لطف كبير منها أن تدعونا.

انخفضت عيناه بعجرفة إلى مستوى أنفه وهو ينظر إليها:

- ولماذا لا تستطيعين المجيء؟

- لا أستطيع.. هذا كل ما في الأمر.

- تستطيعين مؤكداً هجر خليجك الصغير لأمسية واحدة.. لا يمكن لرجلك هذا أن يكون متملكاً إلى هذه الدرجة؟

رمى حصوة إلى الأمواج المتقدمة، بتوتر.. فبدأت تقول مدافعة:

- ليس الأمر هكذا أبداً..

ثم صمتت عندما رأت الصغيرين يخرجان من الكوخ وينزلان الممر بسرعة خطيرة. اتسعت عيناها رعباً عندما تعثر الأول ووقع رأساً على عقب فوق الحصى.. قفزت مذعورة باتجاهه، ولويد خلفها تماماً.

- لاري!

وحملت الصبي بين ذراعيها تترنح تحت ثقله، فقال لويد بسرعة: «أعطه لي.. وتفحصي أنت الإصابة».

جفت دموع لاري كما السحر. وبجهد جبار كتم النحيب الذي كان يهزه. فتح عينيه ليجد نفسه بين ذراعي رجل غريب..

ابتسم له لويد: «أهكذا أفضل يا صديقي؟ هل أحملك إلى الكوخ؟ أظن أن من الأفضل أن تنظفك قليلاً.. اسمي لويد».

هز لاري رأسه، وهو مبهور بهذا الغريب الضخم. أمسكت بريتا نان بيده ولحقت بهما إلى الكوخ. وقف لويد يتفرج وهي تنظف ركبتي لاري ويديه بالماء الساخن، والمطهر.. وتقدم المرطبات للولدين. ثم قالت للاري:

- جيد جداً.. لقد تحملت هذا كرجل. اجلس بهدوء في الغرفة الأخرى مع نان.

هز نان رأسه بوقار، وأدارت لهما التلفزيون، ثم تركتهما، وعادت إلى

المطبخ تحضّر نفسها للاستجواب المتوقع.

كان لويد قد حضر فنجانين من القهوة، أعطاها أحدهما.

- هاك.. تبدين بحاجة إليه.

- شكراً.

ارتشفته ممتنة، تنظر إليه من فوق حافة الفنجان.

- حسناً.. ألن تحاسبني؟

- بشأن لاري؟ ليس من حقي هذا.. إنه شأنك الخاص تماماً بريتا.. زوجك؟

- لا.

- أتريدين إخباري بالأمر؟ لاري لك دون مجال للغلط.. إنه يشبهك تماماً، إنه طفل رائع.

ثم قطب بشدة: «والآخر.. لك أيضاً؟».

نظرت بريتا إليه بغضب، وأبعدت نفسها عنه.

- لا لويد.. ليس لي! ولا لاري لي كذلك! على الأقل ليس كما تعني، ليس ابني.. إنه أخي.

- أخوك.. أتعنين أنك تعتنين به لأن والديك مسافران؟

ردت بصعوبة، تشد على فكها:

- لا.. أنا أعتني به بشكل دائم.. أمي وأبي.. ماتا.

هبط لويد إلى كرسي المطبخ، والصدمة بادية على وجهه. ثم مد يده يجلسها على ركبتيه ويحتضنها كطفلة.

- يا إلهي! لم أعرف بهذا قطُّ! يا للطفلة المسكينة!

تمالكت نفسها: «أنا أم لاري؟».

إنها مرتاحة جداً. وتشعر بشيء أبعد من الارتياح وهو يحتضنها هكذا. لم تختبر هذا الشعور في حياتها أبداً.. فالراحة شيء تقدمه هي للآخرين.

أبعدها عنه قليلاً: «كلاهما.. أتريدين إخباري بالأمر؟».

هزت رأسها نفياً: «ليس الآن.. ليس هنا».

لوحت بيدها نحو الغرفة: «بسبب الصغيرين.. أتريد أن تبقى للغداء؟ أنا على وشك البدء بتحضيره».

هز رأسه، والإعجاب في عينيه: «أجل.. أرجوك. سأحب هذا كثيراً.. أتعلمين؟ أنت فتاة شجاعة بريتا».

رمت ضفيرتها إلى الوراء، وبدأت تخرج البطاطس وأوعية الطبخ.

- لقد قال لي الناس هذا كثيراً.. وهم مخطئون.. فأنا أقوم بواجبي، لأنني موجودة وهذا كل شيء.. لكنني أحياناً أقلق كالمجنونة خوفاً من ألا أستطيع إكمال الطريق.. أنا جبانة.. حقاً.

- لا يبدو لي هذا. هل تعتنين به لوحدك؟

- لا.. أتمنى هذا.. وقت المدرسة، تعيش خالتي معنا.. وهذا الترتيب لا يناسبني كثيراً.

- هل هو كبير بما يكفي للمدرسة؟

- أنا أعني وقت مدرستي أنا.. فأنا أدرّس.

وضعت وعاء البطاطس على النار. هز لويد رأسه ببطء وكأنه يتذكر:

- بالطبع.. كنت يومها على وشك تقديم امتحان الدخول إلى أوكسفورد.. ولا شك أنك نجحت بتفوق.

ردت بوجه يخلو من أي تعبير:

- لا.. لم أنجح.. لقد فشلت.

تجاوزته لتغسل الخس.. وقطب لويد، وبدا عليه الذهول.

- بريتا.. أنا آسف. يا الله، ما كنت سأسأل لو كنت أعرف..

- أعرف. لا أحد يسأل لو كان يعلم.. أليس كذلك؟ النجاح هو المقبول فقط.. لكنك تعرف هذا بالتأكيد.

- طبعاً.. لقد عملت كالعبيد في المسرح الكلاسيكي لسنوات.. لكن لحظة نجاحي في التلفزيون، أصبت النجاح! على أي حال حبيبتي.. نحن نتكلم عنك.

- ليس هناك داع لكلمة «حبيبتي».. شكراً لك.

وضعت أصابع سمك جاهزة في مقلاة على النار، وأكملت:

- أعتقد أنك قد تفضل الجبن والسلطة على هذه!

- أجل.. أي شيء. أخبريني لماذا فشلت في الامتحان؟

هزت كتفيها:

- ولماذا يفشل الناس؟ لم تقبلني أوكسفورد فقبلت بجامعة أدنى مرتبة. حصلت على إجازة في الأدب الإنكليزي وأخرى في الدراما.

- أهذا ما تدرّسينه الآن؟

- لا.. فأنا أدرس في مدرسة حضانة.. كان يجب أن أبيع منزلنا، وأشتري بيتاً أصغر، وأرخص سعراً.. لكن، بعد.. كل ما حدث.. أؤمن بصدق أن عملي الوحيد هو توفير أجواء عائلية ثابتة لنا جميعاً.. وهذا يعني، أن عليّ أن أعمل في مكان قريب من منزلي.. ولحسن حظي أنني وجدت عملاً قريباً.

قال بهدوء: «لماذا لم تدعيني أعرف.. بريتا؟».

نظرت إليه مفكرة: «لم يخطر ببالي هذا لويد.. لقد وصلنا خطاب واحد منك، ثم بطاقة معايدة... ثم مات السيد بيركنز، وتم تأجير منزله. بدا من المؤكد أننا لن نراك مرة أخرى، لكننا كنا نراك على شاشة التلفزيون طبعاً».

حين تكلم، كان صوته أشد خشونة من قبل.

- تجعليني أشعر بالحقارة، بريتا.

- لا تكن مأساوياً.. أنا لا أقصد هذا. ثم إن شخصاً في مركزك يجد صعوبة في أن يبدو حقيراً. على أي حال.. إذا أردت أن تفعل شيئاً، فقطع بعض الخبز.. السكين في الدرج أمامك.

لوى لويد فمه وهو يفعل ما طلبت، ودونما خبرة في البداية، لكنه اعتاد وأكمل مساعدتها بتحضير التوابل للسلطة.

قدمت بريتا لضيفيها أصابع السمك الجاهزة، البطاطس المهروسة، الجبن، والسلطة. وقدمت معها الخوخ الطازج. ثم جلست تراقب لويد وهو يصنع طائرة من منديله الورقي. وجاهد الصبيّان بحماس لصنع

واحدة.

قالت في طريق العودة إلى الشاطىء:

- لقد نجحت نجاحاً ساحقاً مع الولدين.

- أنا معتاد على الصغار.

ومد يده ليثبتها بعد أن تعثرت في الممر الوعر المنحدر.

سألته: «وهل لديك أولاد حقاً؟».

- لا أولاد ولا زوجة... أنت إذن لا تقرئين الصحف.. يطرحون عليّ أسئلة فضولية جداً.. يسألون أي شيء، بدءاً من ماذا آكل وقت الفطور إلى كم امرأة أعاشر في الأسبوع.

جلست إلى الكرسي الخشبي تنظر إليه غير مصدقة:

- أنت تمزح! وبماذا تجيب؟

- أجيب أنني آكل الخوخ وقت الفطور، ولا تعليق على السؤال الثاني.

ضحك لحمرة الخجل التي علت خديها، ومد يده يتلمس الجديلة الطويلة اللامعة على ظهرها، وهو يجلس على منشفته.

- كان شعرك هكذا، أول مرة رأيتك فيها.

- أجل.. أذكر.

- كنت فتاة صغيرة رائعة.. وأستطيع أن أتصورك الآن.. تختلفين عن أمك كثيراً.

صمت، ينظر متأسفاً إليها:

- أنا فظ دون تفكير، بريتا.. آسف.

بقيت تراقب الصغيرين: «لا تأسف.. لا بأس في هذا.. صحيح أنني أفتقد إلى والدي كثيراً، لكن ليس بقدر ما أحسست منذ سنة، وليس كالسنة التي قبلها.. وأعرف أنني مع الوقت قد أتوقف عن الاشتياق إليهما».

ابتسم تعاطفاً.

- منطقية.. حتى في حزنك، كان يجب أن تدرسي العلوم صغيرتي.. وليس الفنون.

نظرت إليه مؤنبة:

- لا تكثر من «صغيرتي»، لو سمحت. فقد أصبح عمري ستاً وعشرين سنة.

- أتعنين أن جسمك امتلأ.. بريتا؟ حتى الآن لم أرك إلا في قمصان قطن واسعة، لذا لا أستطيع الحكم.

- إذا كنت تحاول إحراجي فلا تزعج نفسك! لدي ثلاثة أخوة.. والحساسية ميزة غير مسموح لي بها.

- لا بريتا.. أنا لا أحاول إحراجك.. وإذا كنت وقحاً، فلأنني أحاول إخفاء إحساس شديد بالذنب.

استدارت تنظر إليه متفرسة:

- الذنب.. لويد؟ ولماذا؟

- واضح أنك مررت بمرحلة صعبة.. لم تكن حياتك سهلة. أعرف جيداً أنني كنت أستطيع أن أخفف عنك، لو لم أفقد الاتصال بك.

نظر إلى ساعته:

- يجب أن أذهب بريتا.. غايل تحتاج إلى السيارة بعد الظهر.

وقف على قدميه وجرها معه لتقف:

- تعالي إلينا في المساء..

أشاحت بوجهها بعيداً:

- لست أدري.. سأرى..

- ها أنت تترددين مرة أخرى. تعالي إذا تمكنت بريتا.

صاح مودعاً الولدين، وقفز صاعداً الممر المنحدر بخفة راقبتها بحسد، وتساءلت ماذا يفعل ليبقى رشيقاً.

جلست على الشاطىء لفترة وهي مقطبة، تراقب الولدين.. فجأة أحست برغبة ملحة أن تخرج هذا المساء.. تفعل ما تفعله النساء الأخريات، وما من حقهن أن يفعلن.. وقفزت واقفة تنادي الولدين.

- هيا.. لنتمشى إلى الدكان ونشتري الآيس كريم.

في دكان القرية قالت بريتا لهذه السيدة:

- سيدة جايسون.. أتساءل إذا كان بإمكان إليسا أن تعتني بلاري لساعة أو اثنتين هذا المساء؟ لن أتأخر.. لقد دعيت إلى منزل «القمة» لشرب الشاي، سأعود في التاسعة..

- أوه.. عزيزتي، بكل سرور.. لكنها ذهبت إلى السينما.

لم تتوقع بريتا أن تكون خيبتها شديدة هكذا...

- لا بأس، في وقت آخر ربما.

هزت السيدة جايسون رأسها بحزم:

- لا تقلقي عزيزتي.. عودي إلى المنزل واتركي لاري معنا. بإمكانه تناول الشاي والبسكويت وينام الليل هنا.. سيفرح نان بذلك كثيراً.

- قد يزعجك.

- ما من إزعاج أبداً.. اذهبي وتمتعي.

أحست بريتا بخفة قلب وهي تسرع عائدة على الطريق. من النادر أن تقضي وقتاً طويلاً بعيداً عن لاري، ما عدا وقت نومه، أو عندما يكون في المدرسة.. في السنوات الماضية كان اهتمام أي رجل بها يخبو بسرعة مع اكتشاف وجود لاري الدائم..

تفحصت نفسها لآخر مرة. بدت مختلفة تماماً ذلك المساء. شعرها يتدلى مجعداً لامعاً، عيناها أكثر اتساعاً، ربما بسبب الظلال التي رسمتها حولهما، وارتدت قميصاً حريرياً متسعاً أبيض اللون وبنطلوناً قطنياً زهري اللون، وصندالها الوحيد المرتفع الكعبين.. ثم قالت لصورتها في المرآة:

- ستنجحين.

وقفزت مجفلة حين رد عليها صوت أجش مألوف عن باب الكوخ:

- وبمرتبة الشرف آنسة ديلاني.

كان لويد يقف بالباب، يبدو أكثر من متألق بقميص أبيض عسكري الطراز وبنطلون عسلي.

- فكرت غايل أن بإمكانك إحضار لاري معك إذا كان هذا هو العائق

الوحيد.

- لقد رتبت الوضع.. شكراً لك.. وهذا لطف منها. لكنه مدعو للبقاء الليلة مع أصحاب متجر القرية، عائلة نان.

- إذن أنت حرة.

- لليلة واحدة فقط.

التقت عيونهما، لكنها سرعان ما أشاحت بصرها.

- لنستغلها إذن..

رحبت غايل ريفرز بها بحرارة وعرّفتها إلى بيكت. كان ضخماً أشقر، كله مودة وفتنة مثل زوجته، مما وضع الضيفة في حالة ارتياح منذ البداية. ساعد على هذا وصول براون إلى الغرفة راكضاً ليثير ضجيجاً كبيراً حول بريتا.

قالت غايل ضاحكة:

- إنه متعلق بك كثيراً.. ليس من عادته أن يحب النساء فهو يفضل الرجال.

قدم لويد كأس عصير لبريتا، مبتسماً: «البريتا جاذبية لهذا النوع من الكلاب. لم يكن غولبات يطيق فراقك، ألا تذكرين؟».

- أجل.. أذكر جيداً.

وعرفت من النظرة في عينيه أنه يذكر أشياء أخرى جرت بينهما، وأخذت وقتاً طويلاً لتنساها.

- كنا أصغر سناً.

صمت قليلاً ثم سأل أخته: أين شيري؟

- لا زالت على الشاطىء مع مارغو.. الوقت متأخر.. أعرف هذا.. لكنني فكرت لو أن بريتا أحضرت لاري فلا بأس أن يلعبا قبل موعد النوم.. ستصل بعد قليل.

قالت بريتا:

- اذكر أن لويد قال لي يوم رأيته آخر مرة إنك تنتظرين ولادة طفل..

فهل الطفل هو شيري؟.

نظرت غايل من أحدهما إلى الآخر:

- أجل.. طبعاً.. أنت الفتاة التي كانت تعتني بغوليات وهو يقوم بالجولة المسرحية! كيف فقدتما الاتصال هكذا تماماً؟

- لم تقطع بريتا الاتصال أختي العزيزة.. أنا من قطعه. كنت منهمكاً بتسلق سلم الشهرة والنجاح، ولم أتذكر كل من ساعدني على الطريق.

قالت بريتا دونما ارتياح:

- لم نعرف بعضنا سوى فترة قصيرة.. ولم نتوقع أن يبقى على اتصال بنا. ولكننا تتبعنا أخبار تقدمه بسرور.

- حقاً؟ نظراً لظروفك، يعتبر هذا تصرفاً رائعاً.

نظر بيكيت صهر لويد إلى ساعته:

- حان وقت عودة المربية صانعة المعجزات وشيري إلى المنزل.

سألت بريتا: «وهل هي جيدة مع شيري؟».

قالت غايل بحماس:

- رائعة.. ولها ميل حنون لا شك فيه إلى أخي.

قال بيكيت بمرح: «الأفضل أن تميل إليه، وليس إلي».

ابتسمت بريتا للويد بخبث:

- أتصور أن تكون فتنت بتلك الواجهة التي تُظهرها للعالم.. القسوة في العينين، والسخرية في الشفتين.

قال بقرف: «يا إلهي! هل هكذا أبدو؟».

قالت: «في صورة الضابط الألماني.. أجل. سادي جداً، ومثير بشكل لا يوصف. كادت الفتيات في الكلية يصبن بالجنون».

أغمض عينيه قرفاً.. ثم فتحهما ليحدق بها:

- هل كنت واحدة ممن أصبن؟

ردت بلهجة اعتذار: «حسناً.. لا.. لأنني ما كنت أتابع المسلسل».

صاح بيكت ضاحكاً: «هذه ضربة قاسية لغرورك، يا صاحبي!».

سألها لويد متجاهلاً سخرية صهره: «ولم لا؟».

ـ كان يبتّ أيام الخميس، وأنا كنت أعمل في أحد المقاهي الليلية أيام الدراسة في الكلية.

ضحكت غايل:

ـ أوه عزيزتي.. إذن لم تكوني إحدى «النساء المفكرات» اللواتي اعتبرنه الرجل المثالي.

سمحت بريتا لنفسها بابتسامة متزنة:

ـ لكنني أعرف معدنه قبل أن يصبح نجماً.

كان الزوجان يستمتعان بالحديث، على عكس لويد. وقال بيكيت يمازحه:

ـ حظ منكود.. يستحسن أن تعتمد على مارغو لويد.

في تلك اللحظة ظهرت السيدة موضوع الحديث. كانت نموذجاً رائعاً للمرأة: أسنان بيضاء كالحليب، عينان زرقاوان لامعتان، شعر أشقر كسنابل القمح معقوص في جديلتين فوق كتفين جميلتين.. كانت طويلة القامة ترتدي قميصاً أسود وبنطلوناً قصيراً أبيض اللون، يكشف عن ساقين لوّحتهما الشمس، مما جعل بريتا تبدو قزماً أمامها.

قالت بحماسة بعد أن قدمت غايل بريتا:

ـ مساء الخير.. أنا سعيدة بمعرفتك. أنا مارغو رودستن، كيف حالك؟.. وهذه شيري الصغيرة.

قدمت إلى الأمام فتاة صغيرة تكبر لاري بسنة تقريباً. بدا أن الفتاة قد حزنت لأن بريتا حضرت لوحدها، وسألت:

ـ لماذا لم تحضري ابنك؟ أريد اللعب معه.

قال لويد: ستأتي به معها في المرة القادمة.

سألتها مارغو: «هل يحب لاري السباحة».

قالت بريتا:

ـ أنه لا يثق بالماء. يصيبه الذعر إذا ارتفعت الموجة إلى أعلى من ركبتيه.

قال بيكيت:

ـ أحضريه إلى هنا مع مارغو.. ستحب شيري رفقته، أعرف هذا.

قالت بريتا:

ـ إنه متعلق بنان، الصبي الصغير ابن أصحاب المتجر في القرية.

قالت غايل بطيبة خاطر:

ـ أحضريه هو أيضاً، كلما زاد العدد كثر المرح.. والشاطىء هنا معزول، لا يرتاده الكثير من الناس.

قال لويد:

ـ لدى بريتا شاطىء لها وحدها.. هل يزعجك أي تسلل؟

ابتسمت ابتسامتها المتحفظة:

ـ براون فقط، وتعرف هذا.

ثم خاطبت غايل:

ـ شكراً للدعوة، وسأسأل لاري.. أنا أميل لأن أترك له مجال اختيار الأشياء بنفسه.. من الصعب جداً أن أكون أختاً كبيرة، وأحاول ألا أكون الغول الذي يخافني.. بوجه عام نحن متفقان جيداً.

سألت غايل:

ـ وماذا عن الصبيان الأكبر سناً؟ ذكر لنا لويد أن لديك أخوين آخرين.

ـ أنهى جون أول سنة له في كامبردج، وهو الآن في جولة كريكت مع منتخب الشباب الريفي. سيذهب ريك إلى ترينتي هذه السنة.. وهو يلعب الركبي.

مرت بقية السهرة بسرعة، بعد الحادية عشرة بقليل وقفت بريتا لتشكر مضيفيها بحرارة.. ونظر لويد إلى قدميها وهي تتجه إلى الباب.

ـ أيمكنك السير في هذا الحذاء؟

ـ أجل.. بالطبع.

ـ إذن سأسير معك إلى البيت.

قالت غايل:

ـ من المؤسف أن ندع المسكينة تمشي.

ـ أنا أحب المشي كثيراً.

قال لويد:

ـ تذكري أن هذا هو الوقت الوحيد الذي أشعر فيه بحرية التجول دون تخفي.

قالت غايل بنفاد صبر:

ـ أتعتقد حقاً أن الناس سيقفزون عليك؟

ـ إذا كنت تشيرين إلى جنس النساء، فهذا غير مستبعد، وقد حدث فعلاً! على أي حال أشعر برغبة لتحريك ساقيّ. أنا مسجون منذ مدة.. وهناك قمر الليلة، أنظري بريتا.. إنه بدر، تمني شيئاً.

نظرت بريتا إلى البدر في السماء، وتمنت بصمت، ثم شكرت مضيفيها مرة أخرى.

سأل وهما يسيران:

ـ هل تشعرين بالدفء؟

هزت رأسها إيجاباً. لكنهما تابعا السير بصمت، يسيران يداً بيد.. بعد قليل عاد إلى الكلام:

ـ هل تمتعت بالأمسية؟

ـ أجل.. كثيراً.

ـ وهل ستأتين بلاري إلى منزل «القمة»؟

ـ إذا أراد المجيء.. وربما تأتي مارغو بشيري إلينا.. وبإمكان غايل وبيكت أن ينعما ببعض الوحدة.

ـ فكرة جيدة.. أنت دائماً مفكرة بريتا.

أحست انه يكلمها كما يكلم شيري، فتنهدت.. سأل: «لمَ التنهد؟»

ـ كنت أتمنى شيئاً، أعرف جيداً أنني لن أحصل عليه.

اشتدت يده حول يدها، وأكملا السير بقية الطريق بصمت وديّ. حين وصلا كوخ الصخرة فتحت الباب وهو يراقبها، ثم لحق بها دون أن تدعوه.

أضاءت الأنوار وسألها:

ـ ألن تشعري بالخوف وحدك بريتا؟

ـ الخوف؟ لا، بالطبع. على أي حال ليس معي أحد في المنزل سوى لاري في بقية الليالي. وهو ليس الحارس المثالي.

ـ لا.. أعرف هذا.. لكن وجود شخص آخر يطمئن قليلاً.

مرر يده على شعرها:

ـ يمكنني أن أبقى..

نظرت إليه:

ـ لا أعتقد هذا لويد.. شكراً لك.

سار نحو الصوفا الصغيرة وجلس عليها:

ـ الوقت ليس متأخراً كثيراً.

ونظر إلى وجهها المجفل بتصميم:

ـ قد لا تتاح لنا فرصة أخرى لمثل هذه الخلوة بريتا. وأريد أن أعرف ماذا جرى لماريون ولأبيك.

* * *

٥ ـ اعتراف

وقفت بريتا تتطلع إليه بصمت لفترة، ووجهها مكتئب.. أخيراً قالت:

ـ أفضل ألا أتكلم. الوقت متأخر وأنا متعبة، وأكره أن أبعث الذكرى حية من جديد.

استدارت نحو المطبخ:

ـ دعني، بدلاً من هذا، أقدم لك القهوة.. ليس لدي شيء غيرها.

قال بحزم: «لا أريد قهوة بريتا».

ثم اتخذ صوته الأجش بعض الليونة:

ـ تعالي واجلسي إلى جانبي.

ـ لن أجلس. عن أذنك سأصنع القهوة.. فأنا أريد بعضاً منها.

وقف لويد متنهداً ولحق بها.

ـ أصبحت أكثر عناداً مما عهدتك بريتا ديلاني.

نظرت إليه متأملة، وعيناها السوداوان تلمعان في ضوء المطبخ الشاحب:

ـ لقد أخطأت في فهم كل شيء منذ البداية لويد.. ظننتني طفلة. وكنت سخيفة حين أكدت لك ذلك بتمثيل دور «الوليتا» إن كنت تذكر.

قال بجفاء: «أوه.. أجل أذكر».

ـ حسناً.. كما قلت، كان هذا بلاهة مني.. لهذا لا ألومك إن أخطأت في أي تفسير.

انتفض لويد ووقف مرتفعاً فوقها، مما جعلها تتوتر:

ـ مرّت أوقات، عزيزتي بريتا، وجدتك فيها ناضجة جداً ومغرية، فاطمأن بالي.. إن كنت تذكرين.

أخذ الصينية التي وضعت عليها فنجاني القهوة.

ردت ببرود: «أنا أذكر.. لكن يدهشني أنك أنت تذكر كذلك».

اتجه إلى غرفة الجلوس ووضع الصينية على أقرب طاولة:

ـ ولماذا لا أذكر؟

جلس على الصوفا وأعطته بريتا فنجان القهوة ثم جلست على كرسي قرب النافذة:

ـ دعك من هذا لويد! تنقلت في السنوات الماضية من علاقة غرامية إلى أخرى، فلماذا تتذكر تلميذة مدرسة صغيرة سخيفة مثلي؟ في الواقع، دهشت لهذا الأمر، فعندماجئت لتأخذ غوليات ومعك إيف روس، بدا أنك عازم على الزواج.

ـ أوه هذا صحيح عزيزتي.. كنت كذلك. لكني أخطأت حين ظننت أن إيف مستعدة كذلك. وهذا يثبت مدى غبائي حين أحاول التذاكي.. لكن كل هذا لا يعني أنني نسيتك.

ـ مع ذلك، نسيتني ولا ألومك. النجاح الذي حققته يكفي لجعل أي إنسان ينسى أحداثاً تافهة صغيرة مثل الوقت الذي أمضيته مع أمي ومع.. عائلتي.

قال متصلباً:

ـ من الطبيعي أن تحسي هكذا نظراً للظروف. لكنك هذه المرة، أخطأت الفهم. تلك الساعات التي قضيتها في منزلكم، هي ساعات طالما كنت أفكر فيها بسعادة.. وكنت أنوي فعلاً زيارتكم.. أمك، وأنت. لكن عملي بدأ يأخذ مني كل وقتي، ولم تتح لي فرصة أبداً. لكنني كتبت لأمك مرتين في الواقع، ولم أتلق الرد، لذا افترضت أنكم انتقلتم من المنزل.

اشتد ضغطها على شفتيها:

- ربما كانت خالتي ترمي رسائلك.. خالتي جيني هي.. غريبة الأطوار.. عزباء مسنة متشبثة بآرائها. لم توافق قط على زواج أختها الصغيرة.. لكن منذ وفاة أمي رأت أن من واجبها أن تقيم معنا خلال أوقات الدراسة، ثم تعود إلى شقتها في «هامبستير» لحظة تدوس قدم جون أو ريك أرض المنزل.

- لكن كيف تتدبرين أمور الحياة براتبك فقط؟ كلفة الدراسة وحدها هائلة.

مال إلى الأمام يلمس يدها، وجهه الوسيم شديد الاهتمام.

- أسألك بدافع الفضول فقط.

ترددت ثم وقفت لتجلس إلى جانبه على الصوفا:

- أعتقد أنه من الأفضل أن تسمع القصة كاملة، وآسفة لأنني كنت مترددة.. لكن القصة محزنة جداً، ولا أطيق إخبارها للناس.

استدار قليلاً يراقب وجهها:

- هل هذه هي نظرتك إلي؟ كمثل «الناس»؟ لقد كنت مولعاً جداً بماريون.

ابتسمت له ابتسامة مواساة:

- كنت فعلاً هكذا.. أليس كذلك؟ حسناً، ربما تذكر أن والدي كانا يمران بظروف صعبة في زواجهما، في شهر آب الذي كنت أنت فيه هناك.. انتهى الخلاف إلى صلح قرّبهما إلى بعضهما أكثر من ذي قبل. تمكن والدي من إقناع المؤسسة التي يعمل لحسابها بأن تنقله إلى انكلترا. كانا كعروسين جديدين.. ثم، بعد سنة وجدت أمي نفسها حاملاً بلاري، وهذا ما أقلقها إلى درجة المرض. أعني أنها كانت في أواسط الأربعين، وهي سن لا يظنها الأطباء مثالية للحمل.. لكنها كانت سعيدة جداً، وكذلك أبي.. قبل شهر من موعد الولادة، اضطر أبي للسفر في زيارة لفرع للشركة في الشرق الأدنى، لعشرة أيام ثم يعود. لكنه.. قتل في حادث تحطم سيارة وهو في طريقه إلى المطار.

صمتت بريتا، وابتلعت ريقها بقوة. فأمسك لويد بيدها وضغط عليها:

- شعرت أمي بمخاض مسبق حين وصلها الخبر، وساءت الأمور جداً.. فلم تعد قادرة على استعادة عافيتها.. كنت في هذا الوقت في الجامعة. أردت التوقف عن الدراسة، لكن خالتي جيني أصبحت الوصية القانونية حتى أبلغ الواحدة والعشرين، فعارضت هذا وقالت إنني لست مؤهلة للعناية بطفل. استخدمت مربية للاري إلى أن حصلت على شهادتي الجامعية بعد سنتين، واستطعت تولي الأمور بنفسي.. بعد التخرج، كنت محظوظة لحصولي على عمل في مدرسة حضانة في البلدة.. وبقيت خالتي وحافظت على روتينها. تقيم معنا خلال فترة الدراسة، وبقية السنة في هامبستير.

سألها بهدوء: «وأنت، بريتا.. ماذا تفعلين؟»

- ماذا تعني؟ لقد أخبرتك.. أعمل في مدرسة حضانة. وفي السنة الأخيرة كان لاري يأتي معي. لكنه في الشهر القادم سيذهب إلى مدرسة ابتدائية. ثم في الثالثة عشرة سيذهب إلى المدرسة التي ذهب إليها جون وريك. وبعدها يقرر هو ما يريده.

- أعني حياتك الاجتماعية.. أليس لك أصدقاء؟

- سيدات فقط. إحدى المعلمات معي، وصديقتان من أيام المدرسة، وما إلى ذلك، لكن، رجال.. لا.. للأسف.

وضحكت: «شبه لاري بي يعيقني.. يظنني الجميع أماً عزباء».

أجفل لويد: «لكنك صغيرة جداً على هذا.. بالتأكيد!».

- أبداً، فقد ولد لاري في ذكرى ميلادي العشرين.

تجهم وجهه صدمة: «يا للسماء! أتعنين أن والديك، ولاري، وكل شيء حدث في ذكرى ميلادك؟».

- وهل هناك يوم مناسب لأشياء كهذه؟ كانت هدية ميلاد رائعة..

تشققت قشرة الهدوء الهشة. أشاحت وجهها بعيداً، تقاوم بصعوبة

لتسيطر على نفسها، وبصوت مختنق، ضمها لويد إليه وشد عليها.

قال بحدة: «ابكي.. اخرجي عن همك المكتوم، بحق الله!».

وفعلت ما طلبه منها. بكت بحرقة أدهشتها. هزت جسدها تنهيدات بكاء عميقة، وهو يضمها ويهزها بلطف ويتمتم كلمات لا تحصى لمواساتها، ويمرر يده فوق شعرها إلى أن بدأ النحيب يتلاشى، واستلقت هادئة بين ذراعيه. سرت في جسمها قشعريرة وهي تسترد أنفاسها.

ـ آسفة.. أنا لا أبكي عادة. أعرفت الآن لماذا لا أريد الكلام بالموضوع؟؟ لا زالت الذكرى تمزقني حتى بعد كل هذا الوقت.

أرجع خصلة شعر عن وجهها:

ـ يا إلهي.. هذا لا يدهشني.. ماذا أستطيع أن أقول، صغيرتي! إنها مأساة فعلاً.. حين أتذكر ماريون، اللطيفة المليئة حيوية..

ـ أرجوك.. لا تقل شيئاً!

حاولت الوقوف، لكنه منعها.

ـ ابقي كما أنت.. أريد أن أفكر.

ـ فكر في مكان آخر، أريد النهوض عن ركبتيك.

ـ لكنني أحب أن تبقي.. اجلسي ثابتة.

دفع رأسها مجدداً إلى كتفه، يملس شعرها بصمت.

بقيت بريتا مسمرة، متوترة، بغير إرادتها في البداية.. بالتدريج استجابت للحركة المهدئة وتركت نفسها تسترخي. لكنها من جهة أخرى شعرت بالإحباط.

جلست تدفع نفسها بعيدة عنه بحزم:

ـ أنا بخير الآن لويد، وآسفة لكل هذا.

أجفل لويد، وبدا شارداً بعيداً عنها. فكررت بصوت مرتفع:

ـ قلت إنني آسفة.. واعتقد أن الوقت حان لتنصرف.

ربت على الصوفا إلى جانبه:

ـ لا داعي للصراخ.. اجلسي هنا وأجيبي عن بضعة أسئلة بسيطة.

أحست فجأة بتعب كبير:

ـ ماذا تريد أن تعرف غير هذا؟

جذبها إليه مبقياً يده حول خصرها.

ـ أخبريني كيف تتدبرين أمورك، حالياً.

تنهدت ثم تثاءبت:

ـ كان للصبيين تأمينات تركها أبي أمنت لهما المصاريف في الجامعة.. وكان لأمي مال خاص بها، وهذا ما أدهشني، وضعته جانباً لأجل لاري وتعليمه.. وتركا المنزل لنا جميعاً طبعاً. كان لوالدي بوليصة تأمين على الحياة.. ولخالتي جيني ما تدعوه «بمصادر مستقلة» فهي تغامر في البورصة، وتربح دائماً. هكذا، مع مرتبي، والعمل الذي يحصل عليه الصبيان في العطلات، لتأمين مصروفهما الخاص، كنا نعيش حياة لائقة.. صحيح أننا لا نملك سيارة، لكننا على الأقل، نسكن في منزل خاص ونأكل ونلبس.

ـ لا يبدو عليك أنك تأكلين كما يجب.

ـ وهل تذمرت يوماً..

صمتت حين رأته يركز نظرته على مكان واحد. فنظرت إلى نفسها واحمر وجهها حين رأت أن دموعها بللت القميص الحريري الأبيض فالتصق بجسمها.

قال بصوت أجش: «لقد امتلأت فعلاً».

أضاءت ابتسامة وجهه، واشتدت ذراعه حول خصرها.

ـ امتلاء الجسم لم يعن لي شيئاً في يوم من الأيام، على الأقل ليس الآن..

انتزعت نفسها منه، وقفزت واقفة:

ـ ما تقوله قد يكون مثيراً لو أنني مراسلة صحفية أسعى وراء الإثارة.. لكنني أعتقد أن وقت رحيلك قد حان لويد.

وقف متمهلاً، وبقي قربها حتى كاد يدفعها إلى حافة النافذة.

ـ لماذا هذا التوتر.. صغيرتي؟ تخافين مما قد أفعله؟

ـ بما أنك ذكرت هذا.. أجل.. لذا أرجوك أن تذهب.. الآن.

لمع الذهب في عينيه بشكل خطير، وأمسك بذقنها يجبرها على الالتفات إليه:

- أنا أحب أن أقرر متى أدخل ومتى أخرج.. أيتها النارية الصغيرة.. والآن ودعيني بقبلة وبلطف حتى أفعل ما تطلبينه مني.

اشتعل غضب بريتا فجأة، واستعرت عيناها بنار، وظهر خط أبيض حول شفتيها المضمومتين بشدة ثم قالت ببرود شديد:

- أشكرك على هذا الشرف الذي تمنحني إياه.. لكنني أعتقد أن واجبي أن أحرم نفسي من هذه السعادة.. شكراً على هذه الأمسية اللطيفة.. وعمت مساء.

مرت لحظات متوترة، نظر فيها إليها ووجهه قناع لا تعابير فيه.. ردت بريتا نظرته دون أن يرف لها جفن.. تلاشى التصلب من الجسم الطويل القوي العضلات تدريجياً وتراجع ونظرة إعجاب في عينيه.

ربت خدها بإصبعه، وقال بخفة:

- كنت دائماً لاذعة كالشوك.. مع ذلك، عليك أن تلجمي لسانك الحاد بريتا.. إنه ليس من خصائصك الجذابة.. تذكري القول المأثور: يمكن أن تصطاد الذباب بالعسل لا بالخل.

سار نحو الباب، ليبتسم لها ابتسامة شاهدتها كثيراً في المجلات والصحف، تلك الابتسامة الشعبية. ثم انحنى لها بمبالغة وقال: «عمت مساء».

خرج متمهلاً من الباب الزجاجي الصغير إلى الطريق الترابية.

خلعت ثيابها وارتدت ملابس النوم، ثم جلست إلى طاولة الزينة، تمشط شعرها. أحست بالأسف الآن للافتراق عن لويد وهما على خصام. الذين يهتمون بالإشفاق عليها ليسوا كثراً. جدلت شعرها وربطته بشريط حريري ثم تطلعت إلى غرفة لاري قبل أن تقفل الأبواب.. شهقت لصوت قرع على زجاج باب الشرفة الخارجية، ثم سمعت صوت لويد يصيح:

- بريتا؟ أدخليني.. أرجوك.

بساقين مرتجفتين ركضت إلى الأسفل، وعبرت غرفة الجلوس لتفتح الباب.

قالت تعاتبه:

- لقد أخفتني حتى الموت.. لقد ظننت..

لم تكن بريتا منتبهة.. دخل على مهل وعيناه تطوفان من قمة رأسها إلى أخمص قدميها.. تورد وجهها وهي تتراجع.. لقد تركت روبها في غرفتها.. كان ثوب نومها هدية ميلاد من جون، وهو من القطن الأخضر، لكنه قصير جداً.. أطرافه مزينة بدانتيل أبيض يتخلله شريط حريري أزرق قاتم، لا يغطي سوى بضعة أنشات من ساقيها البنيتين النحيلتين. تذكرت أنها كانت تحمل لعبة الدب التي للاري في يدها. الابتسامة الخفيفة على وجهها تلاشت أمام نظرات عينيه.

- إذا كنت تكرهين دعوتي لك لوليتا، فمن الأفضل ألا تسيري في المنزل هكذا.

- لا أتلقى عادة زيارة في مثل هذا الوقت.

- كنت في منتصف الطريق إلى منزل «القمة».. ثم استسلمت وعدت.. كنت قلقاً.. أنت معزولة تماماً هنا.. ويمكن أن يحدث أي شيء لك دون أن يعرف مخلوق بهذا.

حاولت أن يبدو صوتها ساخراً:

- في هذه اللحظات، من الأفضل ألا يعرف بي أحد. سأصعد لأرتدي روبي.

واتجهت إلى السلّم، لكنها لم تصله. شُدت إلى الوراء بين ذراعي لويد قبل أن يتاح لها أن تقاوم. رفعها عن الأرض وجلس معها على الصوفا، ليقع الدب من يدها.

- قد لا ترغبين في هذا.. لكنني لن أتركك.

أمسك يدها التي طارت نحوه ووضعها على صدره:

- لقد قلت كل شيء في وقت سابق، ولا داعي للإعادة. لكن الإغراء

عظيم وكثير على إنسان ضعيف مثلي. أنت صغيرة.. حلوة.. كنت أنوي العودة لأنام هنا في الطابق السفلي.. دوافعي كانت شريفة..

حاولت مقاطعته: لويد..

لكنه وضع اصبعه على فمها: «هل تذكرين أول أمسية.. حين كنت حافية القدمين، وفي تنورة قصيرة؟».

هزها بلطف، فشهقت تتطلع إليه بارتباك: «أجل».

- انتابني إحساس متهور لا يقاوم، أن أتلمسك هكذا..

ومرر أصابعه على بشرتها السمراء.. ثم استعادت صوتها:

- وهل هذا انتقام بعد تلك المدة الطويلة؟

ضحك بصوت منخفض، وهز رأسه:

- ليس انتقاماً، صغيرتي.. إنه حلم يتحقق. كنت أعرف أنه مستحيل يومها.. لكنه لم يعد هكذا الآن.. أليس كذلك؟

- لا.. لكني لا أريده.

- ألا تريدينه بريتا؟ حقاً؟

ضمها إليه بشدة، متجاهلاً مقاومتها. لكن رجفة سرت فيها جعلته يتوقف وينظر إلى وجهها على كتفه.

- ما الأمر؟

تنفست بصعوبة، والغضب في عينيها:

- يبدو لي أنني بحاجة إلى براون الآن.. في المرة السابقة، قاطعك غوليات قبل أن تصل إلى هذه المرحلة.

جلس مستوياً، وتركها تفعل مثله.

- فكرة كريهة، وسط مشهد حب كهذا!

دفعت شعرها إلى الوراء:

- أنت كنت وسط مشهد حب، لويد، ليس أنا.

تحول لونه إلى لون غريب تحت سمرة بشرته. وهبط جفناه فوق عينيه، وتغيّر تعبير نظراته...

- إذن.. أنت لم تتأثري بريتا.

- لم أكن غير متأثرة.. بل غاضبة.

تكورت في زاوية الصوفا، وشدت ثوب النوم فوق ركبتيها.

- حين أرغب في حب أحد، يجب أن يكون هذا «الأحد» يريدني أنا.. أنا.. بريتا ديلاني وليس خيالاً لا شكل له، كان يحتفظ به في أفكاره.. ولا بدافع الشفقة أو الذنب، أو أي شيء آخر.. رغبة فياضة، قديمة الطراز، أفضل عندي مما تعرضه علي.. لويد تشايلد.

وقف فجأة وسار إلى النافذة، لينظر إلى العتمة الدامسة في الخارج.. كانت بريتا ترغب بيأس أن تأوي إلى الفراش.. أن تدفن نفسها تحت المفارش.. أن تنسى كل مشاعرها بالنوم. لكن ذلك بدا مستحيلاً بوجود زائر غاضب.

استدار لويد أخيراً، وقد لبس وجهه قناعه اليومي المعتاد.

- كنت مخطئاً.

- حول ماذا؟

- عدت لأنني ظننت أنك بحاجة إلى حماية.. لكنني كنت مخطئاً جداً.. غروري الآن مكدوم مسحوق، وأظنني سأعود من حيث أتيت وأتركك. لا أريد أن يزعجك حضوري.

ردت ببرود: «يستحسن أن تفعل ذلك».

- تعرفين حقاً كيف تحملين الحقد في نفسك، أليس كذلك؟ لماذا تكرهينني هكذا بريتا؟ أنت تكرهينني، أنا متأكد. ولسبب أبعد بكثير من عدم مراسلتي لكم.. كنت حريصاً على ألا أستغل ميلك المراهق إلي. وكنت أعرف أنك تميلين إليّ.. بين حين وآخر كنت أحس بالإغراء.. صدقيني.. لكنني لم أستسلم.. ألهذا السبب تكرهينني؟ لأنني لم أستسلم؟

نظرت إليه بثبات، ذراعيها حول ركبتيها:

- أشعر فعلاً بكراهية نحوك لويد.. لكن ليس لأنك لم تشبع رغبة تلك المراهقة السخيفة.. أسبابي غير مبلورة وغير منطقية.. ولها قصة طويلة.

وقفت تتثاءب دون إرادة منها. . وتجهم وجهه:

- أرجو ألا أكون قد أضجرتك كثيراً.

- أنا متعبة فقط لويد. لذا، اعذرني، سأقول لك عمت مساء مرة أخرى. . شكراً لعودتك، أقدر كثيراً اهتمامك بي. لكنني سأكون على خير ما يرام لوحدي.

- وهذا أفضل، في رأيك. . لكنني لن أذهب قبل أن أسمع قصتك الطويلة.

اشتدت قساوة وجهها النحيل:

- لا لويد. . لقد نلت ما يكفي من قصص لليلة واحدة. . وهذه قصة سأحتفظ بها لنفسي. إنها شخصية، ولا تعني سواي.

رد بسرعة، وهو يجتاز الغرفة ليقف منتصباً فوقها:

- ومن حقي أن أعرف ماذا فعلت.

- لم تفعل شيئاً. .

- حسن جداً، إذا لم يكن لخطيبتي غفران، فأخبريني ما الذي لم أفعله؟

تصادمت عيونهما، ثم تراجع لويد، يعترف بالهزيمة.

قالت بهدوء: «شكراً لك. . عمت مساء».

- وهل ستتركينني فعلاً أتساءل.

- ستنسى كل شيء. . وتنساني بعد يوم أو اثنين.

- لن أنساك. . وتعرفين هذا.

- ولمَ لا؟ لقد نسيتني أول مرة.

***

٦ ـ لا صداقة ولا حب!

استيقظت بريتا في اليوم التالي وهي تعرف أن شيئاً سيئاً قد حصل. . حين تذكرت ما هو، نهضت من السرير واستحمت، ثم ارتدت بنطلون جينز وكنزة قطنية فوق المايو. نزلت لتتناول فطورها وحيدة، كان الصباح هادئاً جداً. . وكان لها وقت للتفكير. . لم تكن أفكارها رفيقة جيدة لها، فالنوم الذي اشتهته ليلة أمس طال انتظاره. فلم يدركها إلا بعد ساعات على رحيل لويد. وها هي الآن مثقلة العينين، مغشية النظر، غير راغبة في مواجهة واجبات اليوم الذي أمامها.

كان من الأفضل ألا يمضي لويد الليل هنا. . فقد تعيد أليسا الولدين باكراً. . رؤية رجل ضخم ممدد على الصوفا، كان سيعطيها موضوع حديث شيق تتحدث به مع أصدقائها، خاصة إذا عرفته. وكان من الممكن أن يجفل لاري، وينكمش. فهي برأيه ملك خاص به، ورهن إشارته دائماً. . يجب أن تتخلص من هذا عما قريب. . فأن تكون رهن إشارة أي رجل أمر لا يروق لها أبداً.

بالكاد استقرت بريتا مع الولدين على الشاطىء حتى رأت مارغو تلوّح لها بمرح وتمسك يد شيري وحقيبة شاطىء.

- آنسة ديلاني. . مرحباً.

- مارغو. . لطيف أن أراك. . وشيري كذلك.

نادت الولدين:

- تعاليا إلى هنا. . انظرا من سيلعب معكما.

اتجه الصبيان إلى القادمتين الجديدتين والعدوانية مرسومة على وجهيهما وهما ينظران إلى جسم شيري الأنثوي الصغير. . دفعت مارغو شيري إلى الأمام قائلة:

ـ لقد جئنا نزوركما لفترة قصيرة. . إذا سمحتما. السيدة ريفرز تسأل إذا كان هذا ممكناً. لقد ذهبت لتشتري المرطبات.

قال لاري بشيء من الاستنكار:

ـ لا بأس. . أنت تحفرين الرمل ونحن نبني.

قالت بريتا معلقة: «يا لك من متعصب».

قالت مارغو، تتنهد بحسرة: «السيدة ريفرز تحب المرح، لكن السيد لويد أكثر جدية. . لقد شاهدته في فيلم عن الحرب. . وصرخت حين أصيب بالرصاص. . أرأيت الفيلم أيضاً؟».

ـ أجل، رأيته. . إنه ممتاز.

ـ إنه وسيم. . أوه. . كدت أنسى. . أحمل رسالة لك.

أخرجت مغلفاً من حقيبتها، ثم استلقت على ظهرها فوق المنشفة، مغمضة العينين، تتمدد وكأنها قطة ذهبية كبيرة تتمطى تحت دفء الشمس.

نظرت بريتا إلى المغلف لفترة قبل أن تفتحه. كانت المذكرة داخله مختصرة جداً: «أريد رؤيتك الليلة بريتا. . لويد».

فتحت مارغو عينيها الزرقاوين الكبيرتين:

ـ يجب أن آخذ الرد. . أرجوك.

فتشت بريتا في حقيبتها عن قلم، وكتبت الرد على قفا رسالته، ثم أعادتها إلى المغلف وأعطتها لمارغو. كان رداً مختصراً: «أفضل ألا تراني، أرجوك».

بعد يومين دقت غايل ريفرز باب الكوخ بينما كانت بريتا ولاري يتناولان الفطور. . وقالت وهي تتقبل القهوة:

ـ أنا مبكرة، اضطررت للاستيقاظ مع الفجر لأرى لويد قبل سفره إلى لندن. . وفكرت أن أجيء لأراك قبل خروجك إلى مكان ما. . جاءت مارغو صباح أمس لتدعوك لقضاء النهار معنا لكنكما لم تكونا هنا. . كيف

حالك لاري. . أنا والدة شيري.

أحست بريتا بالإحباط. . لقد سافر لويد إذاً. وهذا أفضل لها من وجهة نظر معينة.

قال لاري: «لقد ذهبنا بالباص إلى «هاڤر فوردوست».

ابتسمت غايل له: «رائع! أنا أحب ركوب الباص».

عرضت بريتا القهوة على زائرتها وأحست بخيبة لرفضها:

ـ لا عزيزتي. . شكراً. يجب أن أعود بسرعة، لقد تركت مارغو تتولى أمر غداء النزهة، وهذا ما يوصلني إلى سبب مجيئي إلى هنا. بما أننا لم نحظ بك بالأمس، تعالي لقضاء اليوم معنا.

ابتسمت بريتا بسعادة حقيقية: «شكراً لك. . هذا أمر رائع».

سرعان ما كانت هي ولاري في سيارة غايل في الطريق إلى منزل «القمة».

توطدت صداقة لاري بشيري خلال النهار، وجلس الكبار يتحدثون. كان الولدان يلهوان برمي عيدان الخشب إلى البحر، ليحضرها براون المتلهف. . بعد اليوم المتعب كاد لاري وشيري ينامان على العشاء الذي حضرته مارغو، ورفضت غايل كل احتجاجات بريتا وأصرت على أن يمضيا ليلتهما معها.

لكنها أحست بشيء من الانزعاج حين عرفت أنها ستنام في الغرفة التي كان لويد فيها. . لقد افتقدته طوال اليوم، وهذا ما أزعجها. حين نامت فعلاً في السرير الذي كان ينام فيه أحست بالتململ. . كان من الصعب ألا تتكلم عنه. فعلت ما بوسعها للابتعاد عن موضوعه خشية أن يعتقد بيكت وغايل أنها مولهة أخرى بالسيد تشايلد الذي لا يقاوم. . كان في داخلها صراع بين الرفض والاستجابة له كما فعلت أول مرة رأته فيها. . لقد مرت أمور كثيرة في حياتها منذ ذلك الوقت. . ومن المدهش أن يكون له أي تأثير عليها. . لكن لا عجب في ذلك إذا كانت مئات النساء يعتقدن أنه أهم مخلوقات الله. ومن هي كي تعارض؟

www.liilas.com

في وقت ما من الليل، استيقظت مجفلة. فقد أضاء أحدهم النور في الغرفة.. ورفرفت عينيها ناعسة، لترى أن لويد يقف بالباب، وجهه مذهول.. دخل ببطء، وأقفل الباب بهدوء.. ثم قال بخشونة:

- أنت قطعاً لست جنية.. واليوم ليس عيد الميلاد، لذا فأنت لست هدية «سانتا كلوز». فلماذا إذن تنامين في سريري؟

- ظننت.. أعني.. من المفترض أنك مسافر إلى لندن.

تساءلت إذا كان يجب أن تهرب أم لا.. ووقف يدعك ذقنه وينظر إلى وجهها المتوتر.

- ذهبت إلى لندن وعدت، قررت ألا أبقى هناك ليلاً.. قصدت الطبيب ليفحص حنجرتي.. لا تنظري إليّ خائفة هكذا.

قالت ساخطة: «إذا اقتحم أحدهم غرفتي في منتصف الليل، فمن حقي على ما أعتقد أن أخاف».

- لكنك في غرفتي أنا.

- هذا صحيح. أدر ظهرك قليلاً، أو من الأفضل أن تخرج، لأرتدي ملابسي وأتركها لك.

نظر إلى الملاءة التي كانت تشدها إلى ذقنها:

- أتعنين أنك لا ترتدين ذلك الثوب الأخضر المغوي؟

- لا.. لم أكن أتوقع أن أنام هنا. لكن لاري غفا، وأصرت غابل..

- وها نحن.. عدنا إلى مشهد غرفة النوم. ربما يحاول القدر أن يقول شيئاً لنا؟

- لم نكن في غرفة نوم المرة الماضية..

- ليست غلطتي!

- اسمع لويد.. أخرج من هنا كي أستطيع الخروج أنا كذلك...

- لا.. لا بريتا.. كنت أمازحك! سأنام على الصوفا في غرفة الجلوس.

تثاءب وعيناه محمرتان تعباً.

- أنا متعب جداً.. وأستطيع النوم على الأرض. كان السير مزدحماً حتى في هذه الساعة المتأخرة.

سألته بفضول: «وما الذي جعلك تعود الليلة؟ فأنت مريض».

- نزلة صدرية فقط حبيبتي. لم أكن مصاباً بالطاعون.. ثم، لدي أسبابي.

انحنى فجأة وقبل جبينها:

- تصبحين على خير.. من الأفضل أن أتركك لنومك الجميل.. ولو أنك لا تحتاجين للنوم، لو لم أكن متعباً حتى الموت.

- حسناً.. أنت متعب.. فإما أن تتجه إلى غرفة الجلوس، أو أفعل أنا.

- مخلوقة قاسية!

سار نحو الباب، ثم التفت مبتسماً:

- هذا ظلم.. أتعرفين؟ هذا سريري!

أقفل الباب بهدوء خلفه، دون إطفاء النور. تسللت بحذر من الفراش لتطفئه، واصطدمت بلويد وهو يعود ليفعل ذلك.. شهقت ورمت بنفسها تحت الأغطية.. ووصلتها همسة لويد بوضوح:

- لن أقول إنني آسف.. لأنني لا أشعر بالأسف. لكنني الآن قد أستلقي بقية الليل دون نوم!

همست بشدة: «اذهب من هنا!».

ودست رأسها تحت الغطاء، لكي لا تسمع ضحكته وهو يقفل الباب.

وجدت بريتا صعوبة في مواجهة الجميع وقت الفطور في الصباح التالي.. خاصة بعد اكتشاف غابل وجود أخيها على الصوفا في غرفة الجلوس.

قالت غاضبة وهي تعود إلى المائدة:

- لست أدري ماذا يفعل هناك.. ليس من المفترض أن يعود قبل الليلة.

فكرت بريتا.. وأنا من ظننت أنه لن يعود أبداً.. ورفعت رأسها بسرعة حين دخل المطبخ بصدره العاري الشهير فوق بنطلون بلون العاج.

وقد ظهرت علامات سوداء تحت عينيه ونما شعر ذقنه. . نظر بيكيت إليه:

- يا إلهي، ما هذا المنظر!

قال لويد بمرارة:

- إنها الصوفا! رفاصات في أمكنة غريبة.

سألت غايل:

- لماذا نمت عليها إذن؟

هز لويد رأسه متنهداً:

- عدت بعد منتصف الليل، لأجد فراشي مشغولاً.

احمر وجه بريتا بشدة، لكنها تابعت شرب القهوة بهدوء. . فسألها بيكت: «هل أخافك حتى الموت؟».

- أجل. . أخافني.

تثاءب لويد: «قالت لي هذا ليلة أمس، لكن بقسوة أكثر. هل الفراش فارغ الآن غايل؟. . أم لديك مفاجآت أخرى لي؟»

- كنت أظنك ستتأخر في العودة. . يا إلهي، أنا آسفة بريتا. . لم أفكر قط. . على أي حال لويد، يجب أن تنتظر دقائق. . سأغير الملاءات.

لمعت عيناه: «لا تفعلي هذا. . أرجوك! دعيني أستلقي فيه لأتنشق الرائحة الحلوة التي تركتها بريتا فيه».

صاحت غايل:

- لأجل الله، عد إلى النوم، أنت تحرج ضيفتنا.

تأخر قليلاً ينظر إلى بريتا:

- بريتا. . هل أستطيع الحضور لرؤيتك هذا المساء؟

هذه لعبة قذرة. . يعرف جيداً أنها لن تستطيع الرفض أمام غايل وبيكت. .

هزت كتفيها دون اكتراث: «إذا شئت».

- عظيم. . سأجيء في وقت ما بعد العشاء.

في تلك الأمسية جلست بريتا في كوخها مع لاري على الصوفا،

وأحاطته بذراعها وهي تقرأ له عدة قصص قصيرة. . وانضم إليها معانقاً. ومضت نقرأ إلى أن ثقل رأسه على صدرها، وأصبح من الصعب إكمال القراءة في النور المتلاشي للغروب. . ولم تتحرك، فهو لا زال بحاجة إلى أمان ذراعيها، مفضلة أن يتحرك هو أولاً. . أخيراً استيقظ على قرع الباب الخارجي وقال وهو يجري بلهفة ليفتح الباب:

- إنه لويد!

دخل لويد، يعبث بشعر لاري:

- مرحباً لاري. . أملت أن أصل قبل أن تنام.

نظر إلى بريتا مبتسماً:

- مرحباً بريتا، أعرف أنني مبكر في حضوري، لكنني جئت بهدية لهذا الشاب. . لا أيها الصغير، ليس العلبة الكبيرة، فهذا طعام العشاء لبريتا ولي.

قالت:

- قلت إنك ستجيء بعد العشاء.

- أجل. . أعرف هذا. . وأجل، تبدين متعبة، لكن لا يهم. . أليس كذلك؟

- لا يهم أبداً. . تعال واجلس.

انتظر لاري بنفاد صبر بينما كان لويد يبحث في جيب سترته.

- ها هي! كنت أعرف أنها في مكان ما.

أضاء وجه لاري سروراً، وهو يعطيه علبة صغيرة تحتوي على مصغر لسيارة رولز رويس صغيرة جداً، مكتملة التفاصيل. . وقال لاري بذهول:

- يا الله! انظري بريتا!

ردت بريتا بدهشة مبالغة. . ثم تبادلت نظرة مع لاري. وضع أثرها يده على فمه وكأنه تذكر شيئاً، واستدار إلى لويد:

- شكراً لك لويد. . إنها. . عظيمة!

- جئت بها من لندن بالأمس.

شكره لاري ثانية وركض إلى المطبخ ليمرر السيارة على الطاولة مصدراً أصوات هدير محرك.

نظر لويد إلى وجه بريتا، ثم لحق بالولد ومد له يده:

- تعال.. دعنا نتمشى على الشاطىء لنراقب غوص الشمس في البحر، لتستطيع بريتا أن تغتسل، أو ما تريد أن تفعله.. لم يحن بعد وقت نومه.. أليس كذلك؟

ردت بارتياح للدقائق التي ستحصل عليها لوحدها:

- ليس ونحن في عطلة.

- عشرون دقيقة إذن.

رافق لاري إلى الخارج وهما يتحدثان، وراقبتهما بريتا، وجه الصبي متهلل، تبدو السعادة عليه وهو يسير ممسكاً بيد لاري.. يا للطفل المسكين إنه بحاجة إلى الأب.

رتبت بريتا غرفة الجلوس بسرعة قصوى، ثم صعدت لتستحم بسرعة، وتنظف شعرها الطويل من الرمل. فقد قضت النهار على الشاطىء حيث كانت مارغو تعلم لاري السباحة ثم ارتدت فستاناً خيطته بنفسها من قماش قطني ناعم بلون زهري وبيج.. ثم وضعت لمسة ظلال عيون على جفنيها، وبعض أحمر الشفاه، ونزلت السلم في الوقت الذي ظهر فيه لويد ولاري من الباب. تجهم وجه لاري حين شاهدها:

- هذا فستانك الجديد.. هل أنت خارجة؟

- لا.. لكن لويد سيتناول العشاء هنا. لقد شاهدته يحمل علبة الطعام، أتذكر؟

صفا وجه لاري، وقال دونما اكتراث: «أجل».

- تعال إذن حبيبي، حان وقت النوم.

- حسن جداً.

عانق لويد، وشكره مجدداً على السيارة، وتمنى له ليلة سعيدة.

لوح لويد له مودعاً. سابقت بريتا الولد الصغير صعوداً على السلم ثم

قبلت خده المحمر وهو نائم في السرير، وعادت إلى الأسفل.

كان لويد يقف قرب النافذة، يراقب ظهور النجوم. استدار حين دخلت وابتسم:

- فستانك الجديد جميل جداً.. بريتا.

ردت الابتسام: «شكراً لك، لقد خطته بنفسي».

- هكذا أفضل.. بدوت وكأنك على استعداد لقتلي حين وصلت.

احمر وجهها قليلاً:

- ما من أنثى تحب أن تضبط وهي مشعثة.

قال بنعومة: «شخصياً.. أعتقد أنك بدوت رائعة، وشعرك مبعثر في كل اتجاه».

- المديح سيوصلك..

وضبطت نفسها، عيناها تضيقان ضحكاً.

- .. إلى مكان أكثر رفعة في نظري، على أي حال.

- لا ترفعي من آمالي هكذا بريتا.. فهذا سيء لضغط الدم.

سألت:

- ألهذا زرت الطبيب؟ أعرف أن هذا مرض الرجال الأكبر سناً!

- في الواقع آنسة ديلاني، ذهبت لأفحص الجهاز التنفسي، دون ذكر الأوتار الصوتية التي لا تزال تعمل جيداً.

- وهل حصلت على تقرير جيد؟

- أجل.. ما لم أحاول إيصال صوتي المتعب إلى آخر صالة المسرح لأسبوع أو اثنين. سيكون كل شيء على ما يرام.

قالت صادقة:

- أنا مسرورة لهذا.

ثم نظرت إلى الصندوق الكرتوني:

- هل يجب أن أفعل شيئاً بهذا؟

فتحه بسرعة يضع محتوياته على طاولة المطبخ.

- دجاج، باتيه تروبت مدخن، ووعاء سلطة.. أيكفي هذا؟
- لم أكن أتوقع شيئاً، لذلك أجد رائحة الطعام ممتازة.
- هذا ما أرجوه.. عهد جديد في التفاهم بيننا، إن لم ترغبي بشيء آخر.
- وهل هناك شيء خاطىء؟
أخذ صينية الطعام منها وأدخلها إلى الغرفة الأخرى، ثم أجاب:
- الآن، لا.. لكنني أتصرف بحذر كما الحال دائماً معك.. لا أعرف ما إذا كنت أخالف قاعدة من قواعدك أم لا.
- قواعدي؟
- أخبرتني عنها منذ سنوات.. ولقد فكرت بها. فإذا كنت لا زلت تمتعضين مني، فلا بد أنني خالفت إحداها.. فهل أنا على صواب؟
نظرت إليه بعجب: «أيعقل أنك ما زلت تذكر ذلك».
- أتذكر الكثير عنك، أكثر مما تتصورين.. ومهما بحثت، لا أستطيع أن أذكر أي شيء فعلته يومها، لأجعلك تمتعضين مني حتى الآن.
قالت بحزم: «دعنا لا نتحدث بهذا.. فأنا أصاب بعسر هضم إذا تشاجرت ومعدتي فارغة».
ضحك، ورفع كوبه:
- بصحة بريتا.. أكثر النساء عناداً.
كشرت وأجابت:
- نخب ساحر!
- أنت مخلوقة مليئة بالأشواك. أحياناً أحس أنني أسير فوق قشر البيض حين نكون وحدنا.
- آه.. لكن وأنا صغيرة، كنت دائماً تدافع عني لأنني كنت أحبك بجنون.
تمتعت برؤية جفنيه يرتفعان ذهولاً، وأكملت تسأل:
- لماذا أجفلت هكذا؟ لقد شرحت لك هذه المسألة مطولاً ذلك اليوم الأخير.

- لم أنس.. ولا شك أنك نسيتني لحظة ابتعدت عن نظرك.
عارضته بجفاء: «ليس تماماً.. ولا يهم كل هذا الآن. فمن المحال أن نلتقي ثانية في وقت قريب».
قطب:
- لم لا؟ الآن وقد وجدتك، ما من سبب يحول دون صداقتنا.
- بالطبع هناك سبب. كن واقعياً! ممثل شهير ومدرّسة أطفال مشغولة، لا شيء مشترك بينهما. لا شك أن كل أصدقائك من الممثلين. بالمقارنة، محيطي الاجتماعي محدود جداً.. الكثير من الأطفال نهاراً، والعودة إلى المنزل مساء للاهتمام بطفل صغير.
وضعت كوب العصير من يدها وقفزت واقفة:
- حسن جداً سيد تشايلد.. أين سنأكل الطعام الذي جئت به؟ في المطبخ، أم هنا؟
وقف بدوره: «هنا أرجوك، سأساعدك».
تركته يقطع الدجاج شرائح، بينما وضعت الباتيه على التوست.. ثم وضعت التوابل فوق السلطة..
سألته بريتا، في محاولة لكسر الصمت: «كم ستبقى هنا؟»
رفع رأسه مجفلاً:
- نعم؟ أوه.. لست متأكداً.. ستبقى غايل إلى آخر الشهر.. وإذا تحسنت صحتي، فأنا مضطر للعمل في الأسبوع المقبل على مسلسل جديد.. هذه المرة في كثير من مواقع التصوير.. مسلسل إثارة تجري أحداثه في اليونان.
- جميل جداً.. ربما تلتقي هناك بخالتي جيني.
ضحك:
- أستناداً لما قلته عنها لن أؤثر فيها لو رأتني، لأنني مجرد رجل.
- أوه.. لست أدري..
- وهل تعرف أنني صديق لك!

تجنبت عينيه، وأخذت بعض السلطة:

- لا.. لم أفكر يوماً أنني أستطيع ادعاء هذا.

ساد الصمت مجدداً، بعد أن دفع لويد صحنه بعيداً.. وتابعت بريتا طعامها قليلاً، ثم توقفت.. أصبح الجو بينهما متوتراً فجأة. لا شك أن ملاحظتها الأخيرة أزعجته.. وقفت تنظف المكان وتأخذ الصحون لغسلها.

وقف بالباب يرفع كم قميصه: «دعيني أساعدك».

لكنها لوحت له ليبتعد «سأسرع أكثر لو تركتني وحدي».

- أسرعي إذن، هناك شيء أريد الكلام عنه.

أعدت القهوة وحملتها إلى حيث كان يجلس كئيباً صامتاً.. نظرت إليه بحذر، تنتظر كلامه، لكنه صمت لفترة، وشرب قهوته. ثم نظر إليها كمن توصل إلى قرار:

- بريتا.. أريد أن أقول شيئاً، أصغي إليّ جيداً قبل أن تجيبي... ممكن؟

أقلقتها لهجته فسألت:

- هل هو شيء بغيض؟

- القرار يعود لك.. وحاولي أن تكوني صبورة إذا أمكن.

- أنا أقبض أجراً على صبري.. فأنا أتعامل مع أطفال صغار كل يوم!

مال إلى الخلف، وجذبها معه:

- حين كنت في لندن، لم أزر الطبيب فقط.. بل عقدت اجتماعاً مع وكيل أعمالي، كي أقيّم موقعي في المهنة.. كان متفائلاً جداً.. فبعد المسلسل التلفزيوني، هناك فيلم سينمائي، تشاركني فيه سيدة ناجحة جميلة جداً، إضافة إلى إنتاج تلفزيوني لمسرحية هنري الخامس.. وعقد مسرحي لستة أسابيع في الوست اند.. هذه الأعمال مؤكدة. ولقد أكد لي أن هناك أشياء أخرى فيما بعد.. ولدي الآن أكوام من السيناريوهات، أراجعها وأنا هنا.

- هذا جيد حقاً لويد.. وأنا مسرورة لك، لكن..

مرر اصبعه على شفتيها، وابتسم:

- أعرف أن هذا يبدو لك كمن يمتدح نفسه. لكنني سأصل إلى الجزء الذي يتعلق بك.. لأنني لا زلت عازباً، فليس هناك من يعتمد على أموالي. وأنا مرتاح مالياً كثيراً، هذه الأيام.. أعرف أن حياة الممثل غير مستقرة.. لكنني قمت ببعض الاستثمارات المالية الناجحة.

- أنا سعيدة لأجلك!

- سترين.. لقد أخبرتك عن مميزات العزوبية، لكن هناك الجانب الآخر من المسألة.. لقد سئمت أن أكون هدفاً للشائعات، فضلاً عن بعض السيدات اللواتي يلاحقنني إن عملت في المسرح. وأنا أتشوق لبيت حقيقي لائق. مدة إيجار شقتي في المدينة ستنتهي في الشهر القادم، ولا أريد تجديدها.. لكنني أحتاج إلى مكان أنام فيه في لندن.. ما أريده هو بيت في الريف، كمركز أساسي لي.. مع زوجة وعائلة، لقد آن لي أن أستقر.. أنا الآن في السابعة والثلاثين.. ولا أريد أن أتزوج من الوسط الفني، لكني أريد زوجة، لها اهتمام بالمسرح، على الأقل. فهل تريدين التفكير في الأمر؟

نظرت إليه بذهول: «التفكير بماذا؟».

- بالزواج بي.. ستكونين مناسبة تماماً. ولديك المؤهلات الصحيحة، التي تزيد عما لدي. لديك لاري والصبيان الآخران.. عائلة جاهزة دون محنة إنجاب الأطفال، وشراء حفاضات، والإزعاج الليلي، ولديك المنزل. أستطيع تولي المصروف بالكامل إلى أن يصبح جون وريك كبيرين فتقررين ما إذا كنت تريدين بيع المنزل أم لا. بهذا يرتفع حمل المسؤولية عن كاهلك.. يا إلهي.. جفّ حلقي.. أيمكن أن تصبي لي المزيد من القهوة؟

لم ترتجف يد بريتا وهي تصب القهوة رغم أن الصدمة خدرت إحساسها. تكاد لا تصدق. هي تتزوج لويد؟ فكرة مستحيلة.

قالت تحاول كسب الوقت:

- ظننتك ستكلفني بأن أجد زوجة ملائمة لك.. فأنا حقاً لست مناسبة

لك لويد. أعرف أن لدي خلفية مسرحية من أمي، والكلية، لكني لست ملائمة ولا أريد أن أتزوج.. أعترف أن وضعي المالي قد يغريني بالقبول، لكنني لا أعتقد أنك فكرت بهذا جيداً. لا يمكن أن تكون جاداً في تحملك مسؤولية ثلاثة أولاد، وزوجة!

ابتسم:

- لا أتوقع منك أن تعانقيني عرفاناً بالجميل. لكن.. على الأقل، لا تصرفي النظر عن الفكرة.. أنت لا تجدين شكلي كريهاً، أليس كذلك؟

ابتعدت بريتا عنه قليلاً:

- لا.. أتعني أنك تنوي أن يكون الزواج فعلياً؟

ارتفع حاجباه إلى مستوى شعره وحدق بها مندهشاً:

- لقد خطر ببالي هذا.. أجل.. ما الذي أوحى لك بالعكس؟

توردت وجنتاها ونظرت إلى البعيد محرجة:

- حسناً.. لا يبدو أنك تريد أطفالاً..

قاطعها باضطراب:

- بريتا.. لا داعي للإنجاب هذه الأيام كلما اجتمع رجل وامرأة..

صاحت: «لست حمقاء.. لكن الطريقة التي تكلمت بها جعلتني أعتقد أنك ترغب في الانتقال إلى منزلنا كمركز لك.. وفي الوقت عينه، تريح ضميرك بأن تكون مسؤولاً قانونياً عن مصاريفي. لكن لا ضرورة لذلك حقاً».

تنهد:

- لا بد أنني شرحت الأمر بشكل سيء.. اسمعي، أظن أن الزواج سيحل الكثير من المشاكل لكلينا.. أنا مولع بك كثيراً، وأعتقد أنك مولعة بي.. أو قد تعودين إلى التولع بي.. وهكذا تتراجع السيدات عن ملاحقتي، ويحصل لاري على عائلة حقيقية وتعود الخالة إلى حياتها في المدينة، وإلى الأبد.

- كن حذراً.. المسألة الأخيرة قد تفسد الموازنة. لا.. لويد.. مع أنني

أدرك مدى الشرف الذي تمنحني إياه. أنا أتولى أموري جيداً، وأتمتع بعملي في مدرسة الحضانة.. حين يكبر لاري ويدخل مدرسة داخلية يمكنني التفكير بشيء آخر.

- اسمعي.. لا تقولي «لا» الآن.. نامي وفكري بالأمر.. فكري بالإيجابيات لا بالسلبيات. أعرف أنني سأكون رابحاً في هذه المسألة.

- وكيف تعرف هذا بحق السماء؟ أنت تقترح دفع مصاريفي وصيانة المنزل وتحمل مسؤولية ثلاثة أولاد..

لكنه قاطعها:

- في المقابل، سيكون لي زوجة صغيرة جميلة، تحميني من الشائعات والمعجبات، ولا تحاسبني على طول غيابي. فهل هناك شخص آخر بريتا.. ألهذا ترفضين؟

- لا.. ليس هناك أحد.

- إذن لم الرفض؟

أخفضت عينيها:

- أعتقد أن المرء يتزوج لأنه يقع في الحب، مثل أمي وأبي. لكن صورتك عن الزواج صورة عملية جداً، بينما يفترض أن تكون رومنسية.

نظر إليها محبطاً:

- رومنسية؟ أهذا ما تريدين؟

دون إنذار، جذبها إليه.. فشهقت صارخة تحاول دفعه عنها.. فرفع نظره ليتطلع إلى عينيها المذهولتين بانتصار:

- حسناً؟ هل هذا هو العامل المفقود؟

دفعته بعنف: «هذا مجرد رغبة جسدية، وليس رومانسية.. ألا تعرف الفرق؟ واضح أنك لا تفهمني.. حين أتزوج، إذا تزوجت، فسأفعل لأن الرجل الذي يطلب يدي يحبني، ويريدني، لأنه لا يستطيع العيش دوني.. وليس لأنني أشكل له درع حماية من المعجبات».

- أهذا هو رأيك بعرضي؟

وقف بخفة القط والشرر يتطاير من عينيه.. ورفضت بريتا أن يرهبها، فردت نظرته متحدية:

- نعم. هل كنت تتوقع أن أرتمي في أحضانك عرفاناً بالجميل؟

- أبداً.. فلم أحلم بذلك. يا إلهي! كل ما كنت أريده هو أن أعوض عليك سنوات البؤس التي عشتها بعد موت والديك.

ابتعد عنها يستند إلى رف المدفأة الفارغة:

- لم أستطع التفكير بطريقة أخرى تقنعك بأخذ المال مني. كنت أعرف أنك تكنين لي بعض المشاعر.. وظننت، بل أملت، أن يكون قد تبقى ما يكفي منها لأساس قوي للزواج.

نظر إليها.. فهزت رأسها:

- لو كنت في الثامنة عشرة، لتمسكت بالفرصة.. ولوافقت، وبأية شروط.. لكنك طلبت هذا من إيف، بدلاً مني. بنظرة واحدة لها، سحقت عواطفي المراهقة وحطمت حياتي. زرتنا مع إيف قبل يومين من امتحان الدخول إلى أوكسفورد.. وغرقت في ضباب بائس كثيف بسببك، مما خدّر لي تفكيري، وفشلت.. بشكل مخزٍ!

اتسعت عيناه دهشة: «لكن.. بريتا..».

أكملت بحزن:

- أجل.. أنا ألومك لهذا. ليتك زرتنا بعد الامتحان.. كانت أمي شاهدة عاجزة على البؤس الأسود المرير الذي تملكني.. أعرف أنني شغلت بالها في آخر مرحلة من حياتها، لأنني كنت تعيسة في الجامعة التي ذهبت إليها، ولم أستطع أن أستقر.. وكل هذا بسببك. لقد أقلقت والديّ كثيراً.. وكنت متقوقعة جداً ولم أهتم بقلقهما.. ثم فات الوقت.. ورحلا.

بدا لويد وكأن شخصاً لطمه على معدته:

- أتلومينني على كل هذا؟

- عقلي الواعي طالما برأ ساحتك تماماً.. لكن عواطفي رفضت الموافقة.

جزء سخيف من أعماقي، ربما القلب، لا زال يميل إلى رفضك بشدة، وليس فقط بسبب إيف. بل لأنك سافرت ونسيتني.. وكأن لا وجود لنا.. أمي لم تعترف بهذا أبداً، لكنني عرفت أن كرامتها جرحت.. وتمرغ حبي الصغير المسكين في الوحل، وتحطم.. وأصبحت مقتنعة بما قاله شكسبير إن «معظم الصداقات مزيفة، ومعظم الحب مجرد خداع».. ونظرتي لم تتغير كثيراً.. إذن.. كيف أستطيع أن أتزوجك.. وأنا أشعر بهذا؟

***

www.liilas.com/vb3 Amir

٧ - ستقاوم حتى . . .

جلس لويد فجأة يدعك وجهه بيده:

- هذا حمل ثقيل ترمينه عليّ.

هزت بريتا كتفيها: «أنت طلبته».

- حسن بريتا، وداعاً وإلى الأبد.

- أنا آسفة لويد. . وأرجوك، لا تظن أنني لست ممتنة. . عرضك كان فكرة لطيفة، لكنني لا أستطيع القبول به، نظراً للظروف.

- تجعلين الأمر يبدو تبادلاً تجارياً بارداً ولعيناً!

- هذا ما قدّمته أنت لي.

دس يده في شعره:

- على الأقل، كوّنت الآن صورة واضحة عن نفسي، رأيتها من خلال نظرتك. . خنزير قذر، غازلك وهرب، وجعلك تفشلين في امتحانات دخولك إلى الجامعة، ولم يفكر بك بعدها. . وهذا دون شك صحيح.

- أنا جعلت نفسي أفشل لويد. . لست معقدة إلى درجة ألا أرى هذا.

اكفهر وجهه: «ما كان يجب أن أفعل ما فعلت، أليس كذلك؟ من يعلم، ربما كانت الأمور مختلفة».

هزت بريتا رأسها: «لا أظن هذا. . كنت سأفعل الشيء عينه في المكان عينه. وسيبقى لاري في الاعتبار».

- أجل. . أعرف. .

حدقت بيأس إلى جسده الطويل المتوتر. كان من السهل جداً أن تقبل لو

أنها صادقة مع نفسها. . لو أنه أرادها لأسباب ترضي غرورها لكتمت كل تلك البغضاء لنفسها. . لكنها فجأة، وبقسوة، أرادته أن يعرف لماذا تشعر نحوه بما تشعر، أن يعرف كيف كانت الأمور. . أن تحمّله مسؤولية فشلها.

بدأت تقول: «أنا ممتنة جداً للعرض. . ».

استدار إليها يكتم غيظه. عيناه تلمعان كثلج امتلأ بغبار الذهب. وقال بعنف:

- بحق الله. . توقفي عن عزف مقطوعة الامتنان التي تجعلني أثور غضباً.

صمت فجأة، يكبح غضبه: «آسف. . لك طريقة تجعلني أفقد هدوئي. . أي قديس كان سيشعر بوخز لسانك في مثل هذه الظروف».

اتسعت عيناها سخرية: «هل هكذا ترى نفسك؟».

- لا. . أنا مجرد أحمق لعين طلب يد فتاة ورفضته.

- والرفض تجربة جديدة لك، بالطبع.

ضحك بقسوة:

- لا يمكن أن تكوني جادة. . أنا ممثل، يا ملاكي. . ولا زلت ناجحاً. . والفشل في هذه المهنة يكسبنا نحن الممثلين دفعاً أكبر.

قطبت بريتا: «ما الذي تعنيه، لويد؟. . قل إنني نوّاحة، ألوم الجميع على فشلي عوض أن أتابع حياتي بما توفر لي من إمكانيات».

- أنا لم أقل هذا. . ما يشفع بك هو الوقت الصعب الذي مررت به. . لكن ما أعتبره حماقة، هو أن ترفضي تحسين حياتك بعد أن عرضت عليك ذلك. . لا فائدة في الكلام. والوقت متأخر والأفضل أن أذهب.

ردت فوراً:

- عمت مساء إذن، وشكراً لك. . على الطعام.

رد ساخراً:

- لا داعي للشكر. ألن تشكريني على العرض؟ أم ربما أقول طلب الزواج؟

ـ لا . . أعتقد أن كلمة عرض تناسبه أكثر .

وقف أمامها، ورفع وجهها إليه:

ـ لكنه ليس العرض الذي لا تستطيعين رفضه!

ردت دون ارتباك: لا . .

رمى سترته فوق كتفه، وتراجع:

ـ إذن، فهو الوداع، بريتا .

ـ وهل ستترك منزل «القمة» إذن؟

ـ أوه . . أعتقد هذا، ألا توافقين؟ ستكون محاولة الابتعاد عن بعضنا صعبة لو بقيت هنا . . سأعود إلى لندن، وبإمكانك التمتع ببقية عطلتك بسلام . . على أي حال، أنا مضطر للسفر إلى اليونان قريباً .

أحست بريتا بوخزة ندم باردة غير متوقعة . . وقالت بأدب:

ـ آمل ألا تكون خططك تأثرت كثيراً .

ـ أعترف أنني في وقت مبكر من هذا المساء كنت على استعداد أن أطير بك إلى أقرب مكتب تسجيل عقود لتتزوج، ونقضي شهر عسل قصير قبل أن أسافر . . لكنني ربما أتمكن من أن أجد شيئاً أملأ به وقتي .

ـ أنا واثقة من هذا . . وستجد شخصاً آخر يشغلك . . لا شك .

ـ لا شك . . هل ستحزنين حين أرحل؟

ـ ليس أكثر مما كنت سابقاً .

ـ وهل من الضروري أن تحزني بريتا؟

ـ هل تعني أنني منغمسة في الإشفاق على النفس؟

ـ ليس بالضبط . . لكنني أشعر أنك لو أدمنت على الحزن، فستستقر السوداوية في حياتك . وذلك يؤسفني كثيراً .

ـ ليس من عادتك أن تهتمّ .

ـ أنت لا تعرفين شيئاً عني حبيبتي . . فكري فقط بلذة اكتشاف بعضنا بعضاً . . فكرياً . إذا كنت سترفضين الزواج مني، فعلى الأقل امنحيني عناقاً أخيراً .

كان جسمها الرافض متصلباً متباعداً بين ذراعيه، وعيناها مغمضتين . .

ثم استرخت قليلاً، ووقعت سترته على الأرض، ليضمها إليه أكثر . . كم هو خبير في هذا . ثم توقفت عن التفكير، وركزت على المشاعر الغريبة التي تحس بها . . قماش قميصه الرقيق دافىء، نعومة خده تتناقض مع خشونة ذقنه . . وتوتر جسمه، فانسحبت إلى الوراء فوراً لتفلت من عناقه، وتركها دون اعتراض .

قالت بهدوء شديد: «عمت مساء لويد» .

تنهد بأسى:

ـ عمت مساء بريتا . كم أنت هادئة . . كم أنت غير مهتمة، غير متأثرة، بمحاولتي إثارتك .

ـ أهذا ما كنت تحاول .

ـ الوحيد الذي تأثر، هو أنا .

ـ وتعتبر هذا إطراء . . أم ربما لك درجة غليان منخفضة؟

التقط سترته ثم مد يده يلامس شعرها:

ـ لم أفكر بهذا أبداً . . اعتني بنفسك بريتا .

ـ سأفعل .

وقف ينظر إليها طويلاً، ثم استدار ليخرج إلى الطريق الترابي وراقبته يذهب . . صورته منعكسة معتمة إزاء السماء المتلألئة بالنجوم، قبل أن يضيع عن نظرها . . وارتجفت . . تشعر فجأة بالبرد .

كانت بقية العطلة مرحة لطيفة والفضل يعود إلى اهتمام أسرة ريفرز الودي . . ولو أن غايل استغربت في البداية تصرف لويد . . وزاد من حرارة الإثارة وصول جون وريك لقضاء الأيام الأخيرة من العطلة . . وانشغل كلاهما بمارغو وشيري الصغيرة . . بينما سعدت مارغو بأن يكون حولها شابان لطيفان طوع أمرها .

شغلت بريتا نفسها بالعمل والحركة . رحبت بهما بسعادة، مع أن التحضيرات للطعام لم تكن تنتهي، وزادت بعد وصول الأخوين . جعلها

رحيل لويد، تشعر بالضيق.. لقد صرفت النظر عن طلب الزواج على أساس أنه صادر عن إحساس بالذنب، ورفضت اعتباره جدياً. مع ذلك، افتقدت له.. لكنها قررت أن تحاول جاهدة الاستمتاع بصحبة خالتها جيني، حين تعود إلى المنزل.

لكن قرارها لم يمتحن، فبعد يومين، وصلت اليسا باكراً إلى الكوخ تحمل رسالة من روز راينبون أوصلتها عبر الهاتف إلى دكان القرية، تقول فيها إنها آسفة أن تبلغ الآنسة ديلاني، أن خالتها انهارت في أثينا وماتت في الليلة السابقة.. نظرت بريتا إلى خط يد السيدة جايسون على قطعة الورق، وجمدت عيناها لهول الخبر.. وقالت اليسا بلطف:

ـ أنا آسفة جداً.. قالت لي أمي إنها أخبار سيئة.. وهي تسأل إن كان هناك شيء نستطيع أن نفعله اليوم.

بعد ذهاب الفتاة، استندت على باب الشرفة تشعر أن المنزل قد هبط على رأسها. صحيح أن الخالة جيني لم تكن محبوبة كثيراً من أولاد شقيقتها.. لكنها كانت تمثل السلطة الراشدة والأمان في حياتهم. وواجهت بريتا الحقائق، إنها الآن الوحيدة التي ستقع عليها الأعباء التي كانت تحملها الخالة جيني.. ولدهشتها، أحست فجأة بالحرية، ليس فقط من تسلط خالتها، بل إلى حد ما من أسى السنوات المنصرمة.

أصرت غايل على استبقاء لاري معهم ليرحل الآخرون لحضور الجنازة في لندن.. وكانت بريتا ممتنة لهذا، خاصة خلال فترة اللقاء في مكتب المحامي للاستماع إلى وصية جيني لامار.. حيث لم يستوعب أحد ما تلي عليه.

قالت بريتا: «أتعني أنها لم تترك شيئاً؟»

ـ لقد اعتادت الآنسة لامار أن تضارب في بورصة الأسهم، ودون كثير من النجاح، وتحملت الكثير من الخسائر الفادحة في السنتين الماضيتين حتى اضطرت إلى رهن شقتها في هامبستيد.. ويبدو أنها تصرفت بحساب ائتمان كانت وصية عليه.

أحست بريتا بالبرد: «أي حساب ائتمان تقصد؟».

ـ الحساب الموضوع لتعليم شقيقك لاري بعد موت أمك.. بصفتها الوصية القانونية، سحبت مبالغ كبيرة منه، مدعية أنها لصالح الطفل.

صعقت بريتا للتفاصيل.. لحسن الحظ أنهم لم يتحمّلوا دين خالتهم. فقد غطى بيع الشقة والأثاث كل الديون.. أما حساب الائتمان فكان مسألة أخرى.. لأنه كان مال أختها ماريون. لكنها سمحت لنفسها باستخدامه لتفادي الكارثة.. وقد توضحت الأمور حين زاروا محاميهم الخاص. يمكن توفير المال اللازم لدراسة جون وريك.. أما لاري المسكين، فبالكاد سيتمكن من إكمال دراسته التكميلية، بما تركته جيني من حساب الائتمان.

قال ريك بغضب:

ـ يا لها من عجوز لعينة.. ماذا سيحصل الآن؟

أرقت بريتا ليالٍ عديدة بسبب هذا السؤال.. مع ذلك فقرارها لم يتزحزح.. المنزل يجب أن يباع كبداية.. لقد فعلت ما بوسعها للحفاظ على البيت متماسكاً.. كل ما جاهدت لأجله، كان دون طائل.. ليتها تخلصت من المنزل بعد موت والديها مباشرة لما كان لاري سيحس بالفرق.

وصلت أسرة ريفرز لإعادة لاري إلى المنزل فأفشى جون وريك بكل شيء بينما أخذت مارغو لاري وشيري ليلعبا في الحديقة. أحسّ الزوجان بخيبة أمل وسألت غايل:

ـ وماذا ستفعلون بحق السماء؟

ـ لست متأكدة بعد.. سأبيع المنزل.

حين استعدت عائلة ريفرز للمغادرة تمكنت بريتا من إجبار نفسها على السؤال عن لويد، فقالت غايل:

ـ إنه في اسكتلندة، ولم أستطع الوصول إليه قبل ليلة الأمس.. واضح أن العمل في اليونان تأخر لأسبوع أو اثنين.

وضع بيكت ذراعاً ودية حول كتفي بريتا:

- نود مساعدتك عزيزتي.. فكيف نفعل ذلك؟

ابتسمت له بمرح:

- مجرد معرفتي بهذا يساعدني.. سأكتب لأقول لكم ماذا قررنا أن نفعل.

كان قد مر أسبوع على عودتها إلى التدريس، حين عادت مع لاري إلى المنزل لتجد سيارة غريبة في الممر الداخلي.. ركض لاري نحوها مهتاجاً ونظر عبر الزجاج بإعجاب، وأصابعه تتلمس الجسم الأسود المصقول.

قالت بريتا: «لست أدري لمن السيارة.. لكني واثقة أن صاحبها لن تعجبه آثار أصابعك عليها».

ابتعد لاري عن السيارة على مضض، ولحق بها حول المنزل إلى المطبخ، حيث كان لويد يجلس مع ريك يشربان الشاي. كان يبدو ضخماً وشديد الحيوية.

مد يده مبتسماً: «مرحباً بريتا.. لا تبدو عليك الدهشة لرؤيتي».

أمسكت اليد الممدودة: «مرحباً لويد.. السيارة كانت علامة فاضحة».

وتركته يساعدها على خلع معطفها.

- وكيف عرفت أنها لي؟

ضحكت وسع فمها:

- الرجال الذين يأتون إلى هنا، يملكون إما سيارة بورش أو فراري.. ولا أعرف أحداً يمتلك سيارة «جنسن».

لمعت عيناه بدهشة مفاجئة: حقاً!

ثم تجهم وجهه:

- كنت سأجيء قبل الآن..

- ولماذا؟ ريك ضع الغلاية على النار مجدداً.

- سمعت من غايل خبر موت خالتك، لكنني كنت محجوزاً في المستنقعات أصور ذلك الإعلان. ولم أستطع المجيء لرؤيتك في وقت أقرب.

ابتسم للاري المنتظر بصبر أن يلحظ وجوده.

- مرحباً لاري.. هل تمتعت ببقية عطلتك بعد رحيلي؟

هز لاري رأسه إيجاباً، بينما فتش لويد في جيوب بنطلونه ليخرج مصغراً للسيارة المتوقفة أمام الباب. تهلل وجه الطفل، وعانق لويد قبل أن يري السيارة إلى ريك باهتياج.. أعجب بها ريك، ووضع إبريق شاي طازج أمام أخته، ثم أخذ ينقّل نظره من وجهها إلى وجه لويد. ثم قال للاري:

- سنلعب بها بعد تغيير ملابسك، تعال.

- لكن بريتا..

- لقد أعددت لها إبريق شاي.. تعال.

أبعد ريك شقيقه بالقوة، وغمز لشقيقته من خلف ظهر الزائر.

- المزيد من الشاي لويد؟

أسند لويد ظهره إلى الكرسي القديم المرتفع الظهر:

- أجل.. شكراً.

مرر يده في شعره: «جئت أقدم لك العزاء بريتا».

- هذا لطف منك.. كان يمكن أن تتصل هاتفياً، فهذا أقل مشقة.

- حاولت الاتصال عدة مرات.

- حقاً؟ أنا هنا كل مساء.. ربما هناك خطأ في التوقيت.

قال بنفاذ صبر: «أعني أنني حاولت إجبار نفسي على الاتصال، أردت التحدث إليك، لكن لم يكن لدي فكرة عما سأقوله.. لا بد أن موت خالتك كان القشة التي قصمت ظهر البعير. حين أخبرتني غايل صدمت.. الحديث التلفوني لا يمكن أن يكون كافياً على أي حال، لذا قررت ترك الأمر إلى أن أنهي التصوير في اسكتلندة، ثم آتي بنفسي».

ضحكت له بخبث: «هل أفهم من هذا أننا سنراك قريباً على شاشة التلفزيون بالتنورة الاسكتلندية؟».

لم يبدُ على لويد المرح:

- لا.. أنا أعلق فقط على جودة البضاعة.

- سأنتظر رؤيته.. الآن، وقد أصبحت وحدي سأتمكن من مشاهدة برامج أقل مستوى لمجرد التغيير. خالتي جيني كانت متكبرة حتى في برامج التلفزيون.

أصغى إليها لويد وهو كالتائه في بحر.

- أتعلمين؟ ظننتك ستكونين غارقة.. أعرف أنك لم تحبي خالتك كثيراً، ولم أنتظر أن تكوني حزينة.. لكن توقعت أن أراك محبطة أكثر مما يبدو عليك الآن.. قالت لي غايل إنك أصبحت في وضع أسوأ مالياً.

هزت كتفيها، ووقفت: «صحيح.. لقد كنا..».

صمتت لرؤيتها بعض حبات البطاطس في المغسلة:

- الأفضل أن أهتم بهذه.. أيزعجك أن أقشرها ونحن نتحدث؟ إنه عمل ريك في الواقع، لكنني أتصور أنه لن يقاطعنا في الوقت الحاضر.

- لا أبداً.. هل أستطيع المساعدة؟

- لا.. شكراً، لكن بإمكانك أن تصب لي فنجان شاي آخر، لو سمحت.

أطاعها لويد وهو يقول: «قالت لي غايل شيئاً حول بيع المنزل».

ابتسمت له من فوق كتفها:

- لقد قررنا أن نقضي سنة أخرى هنا لوحدنا.. بهدوء. سنقدّر ما لدينا، ونحاول تركه دون استعجال..

- وهل يسمح وضعك المالي بهذا؟

- أعتقد ذلك.. شريطة ألا ينهار السقف علينا أو تقع أية كارثة أخرى.. لن نكون مرتاحين جداً، لكن ذلك ممكن.

نظر إليها مفكراً.. ورفعت رأسها لتراه يراقبها.

- لماذا هذه النظرة المتفحصة، لويد؟

- كنت أفكر أنك بالكاد تبدين أكبر سناً من فتاة المدرسة التي أذكرها في آخر مرة جئت فيها إلى هنا.

- يوم كانت إيف الجميلة في أعقابك.. إنها ناجحة جداً.. ألم تكن

كذلك؟ صديقة لي تمكنت من الحصول على تذاكر لآخر عروض مسرحيتكما السنة الماضية.

تطلعت إلى الفرن وتفحصت حرارته:

- كانت جيدة جداً.. ولقد تأثرت بتمثيلها.

- أجل، نظراً إلى كثرة تبرجها، إلا أنها ممثلة ذكية.. ستشارك في المسلسل اليوناني معي على فكرة.

سرها أن يراها لويد متماسكة أكثر مما توقع.. الشفقة هي آخر شيء ترغبه منه. يجب أن يتعلم كيف ينظر إليها بوضوح: بريتا ديلاني.. كما هي عليه تماماً.. وستبقى من الآن وصاعداً.

قال يتطلع إلى تحضير العشاء:

- كنت آمل أن تخرجي معي للعشاء الليلة. هل هذا ممكن بريتا؟

- هذا لطف منك.. لكنني أنشغل كثيراً يوم الجمعة.. إنها نهاية الأسبوع. تناول العشاء معنا، جون يبقى في النادي طوال عطلة الأسبوع، لذا ليس هناك سوى ريك، لاري وأنا.

نظر إليها بارتياب:

- لا أريد أن أسبب لك المتاعب.

- لن تتعبني.. صنعت فطيرة باللحم يوم أمس.

ابتسمت له بإغراء:

- وستكون هذه مناسبة خاصة للولدين. فهما لا يحصلان على الكثير من الإثارة.

- أوه.. حسناً.. إذا كانا سيحبان هذا فكيف أستطيع أن أرفض؟

لأول مرة عادت السخرية إلى عينيه الرماديتين الذهبيتين.. وهزت بريتا رأسها موافقة:

- هكذا أفضل!

- ما هو؟

- لقد توقفت عن معاملتي كمعاقة.

ـ لو كنت معاقة لكان التعامل معك أسهل . . لقد جئت متوقعاً أن أراك مبعثرة، ولا أستطيع سوى الإحساس بالدهشة وأنا أجد أمامي سيدة متماسكة جداً.

ردت بدفء حقيقي:

ـ شكراً لك لويد . . هذا أفضل مديح سمعته يوماً.

ـ بالتأكيد لا . . ! لا بد من وجود بضع معجبين حولك، ولو في الكلية، على الأقل.

ظهرت غمازاتها وهي تبتسم:

ـ أوه . . كان هناك الكثير من هذا وأنا طالبة . . لكنني التزمت القاعة، والقاعة عندنا كانت مشهورة بالصرامة. كل الطلاّب الشبان يعرفون أنها محصنة كالقلعة.

وضعت بريتا الفطيرة في الفرن، وحضرت الخضار للطهي، ثم صنعت صلصة اللحم لتقدمها مع الطعام.

صعدت إلى غرفتها لتغير ملابسها، ونادت ريك ليحضر المائدة، وعندئذ طفق يتحدث دون ملل مع لويد . . حين عادت إلى المطبخ، وقف لويد وقدم لها علبة الشوكولا.

قال مبتسماً: «هذه لك، ولو أنها تقدمة تافهة . . لكنها أفضل ما استطعت التفكير به بسرعة. أرجو أن تعجبك المرطبات التي اخترتها».

لم تكن ميزانية البيت تسمح بشراء المرطبات والشوكولا، فابتسمت وقبلت الهدية ممتنة. في سرها اعترفت أن وجود ضيف على العشاء أمر لطيف، خاصة إذا كانت لديه أخبار مسلية عن المسرح . . كان الولدان مأخوذين بقصة آخر فيلم له.

استمتع لويد بالجلسة العائلية والرفقة غير المتحذلقة . . ورد على ابتسامة بريتا باهتمام . . التقت عيونهما، فضاقت عيناه بتساؤل . . وانتهى العشاء بالشوكولا المثلجة وحان موعد نوم لاري، بالرغم من احتجاجه . .

وضعته في سريره وقبلته، فقال متوسلاً:

ـ أيمكن أن يأتي لويد ليقول لي ليلة سعيدة؟ أرجوك؟

ابتسمت له وتلمست شعره:

ـ حسن جداً . . لكن بعدها ستنام، أنت متعب جداً.

نزلت بريتا لتجد أن الآخرين غسلا الصحون، ونظفا الطاولة.

قالت ممتنة: «رائع . . لويد أتمانع في أن تصعد لتتمنى للاري ليلة سعيدة؟».

لانت عينا لويد: «طبعاً . . أين هو؟»

ـ في الغرفة عند أعلى السلم.

وسمعته يصعد السلم كل درجتين معاً. انصرفت إلى تحضير القهوة . .

سألها ريك:

ـ هل هناك ما نقدم له مع القهوة؟

ـ لا . . لا شيء . . لا تقلق، لن يتوقع شيئاً.

عبث بعلبة السكر قليلاً، ثم تمتم:

ـ كان من المفترض أن أذهب إلى النادي الليلة، ثم أعود سيراً مع جون . . أتفضلين ألا أذهب؟

ـ لماذا؟ أتخشى أن أبقى وحدي مع ممثل مشهور؟

احمر وجه ريك بشدة:

ـ ليس أنت أيتها الحمقاء، أعني هو . . صحيح أنه شريف ووقور، ويعجبني كثيراً . . لكنك فتاة جميلة جداً و . . صغيرة جداً!

تأثرت بريتا جداً بشهامة أخيها الصغير . . فاختارت كلماتها بحذر:

ـ لا داعي للقلق . . أنا وهو صديقان طيبان فقط . . وهو يعرفني منذ كنا صغاراً . . لا يفكر بي بالطريقة التي تظنها . . أنا واثقة.

ـ لماذا . . ؟ هل هو شاذ أم ماذا؟

ـ ريك!

ـ حسناً، إما هذا أو أنه أعمى كالخفاش، إذا لم يستطع رؤية جمالك.

نظر إليها بارتباك، وازداد احمراراً:

ـ أعني.. حتى أنا أرى جمالك، وأنا أخوك!

ـ شكراً لك.. لكن بحق السماء اذهب والعب النرد إذا كنت راغباً.. أنا لا أمانع، فمن غير المحتمل أن يطيل لويد البقاء. على الأرجح، يريد العودة إلى لندن.

بدا على ريك عدم الاقتناع، لكن مع عودة لويد، استأذن، ونظر إلى أخته نظرة مشحونة بالتحذير، وانطلق راكضاً نحو القرية.

سأل لويد: «ما بال ريك؟ هل كان يفكر بشيء ما؟».

ـ لا.. هل نام لاري؟

ـ تقريباً.

مد يده يسحبها عن كرسيها:

ـ هل أنت الآن حرة لتجلسي بهدوء في غرفة الجلوس قليلاً؟

ـ أجل.. طبعاً.. لكن لنذهب إلى المكتبة بدلاً من غرفة الجلوس، تدفئتها أسهل في مثل هذا الوقت من السنة.

تنهد لويد بسعادة وهو يضع الصينية على الطاولة ويغرق في مقعد كبير.

ـ غرفة رائعة، هادئة، بريتا.

ـ إنها قديمة قليلاً.

صبت القهوة وقدمتها له.. فهز رأسه:

ـ بل مريحة.. وهادئة.. الغرفة المثالية ليسترخي فيها المرء بعد يوم متعب.

تراجع إلى الوراء في مقعده ليرشف القهوة.. وتنفس بعمق.. نظرت بريتا إليه بذهول.

ـ هذه تنهيدة عميقة، لويد. ما الذي يشغلك؟

ـ أنت فقط.

ابتسمت:

ـ لا تقلق عليّ.. علينا.. سنكون على ما يرام لويد.. أعدك.

نظر إليها بحيرة: كيف توصلت إلى هذه الفلسفة الجديدة؟ يبدو وكأنك وجدت مصدر قوة جديد.

ـ ولك شأن كبير في هذا، حقاً.

ـ أنا؟

ـ أتذكر ما قلته لي حول السوداوية؟ جعلني كلامك أنظر إلى نفسي، ولم يعجبني ما رأيت.. وسألت أخويّ عن رأيهما بما فعلته.. وبدا أنهما يعتقدان أنني أبليت بلاءً حسناً.. وهذا ما أيقظني فعلاً.. أحست كم يجب أن أكون ممتنة لوجود إخوتي الثلاثة، فضلاً عن طلب ممثل لامع الزواج.. يا لحظي! كم امرأة تفخر بذلك؟

ـ إذا كنت تشيرين إلى طلب المحترم ل. تشايلد فواحدة فقط.

ـ أوه.. كم هذا مدهش.. ومع ذلك لا.

ـ لماذا تقولين هذا؟

ـ كنت أظن أنك لو طلبت أية امرأة أخرى لقالت نعم.

ـ السيدتان الوحيدتان اللتان طلبت منهما الزواج واجهتاني بالرفض القاطع!

هزت رأسها غير مصدقة: «صعب أن أصدق».

سألها بهدوء: «أما زلت مصممة على موقفك؟».

ـ أجل.

ـ العرض لا زال قائماً، بريتا.

ـ شكراً على لطفك لويد.. لكن الرد لا زال كما هو.. و.. أرجوك.. لا تشعر أنك مضطر لإبقاء العرض مفتوحاً.. يبدو هذا فظيعاً.. إنه التزام كبير. ما أعنيه أنه لا داعي بأن تعلمني مسبقاً إذا قررت الزواج فجأة من فتاة أخرى.

رفعت رأسها لتراه يبتسم: «ما المضحك في هذا؟»

ـ أنت بريتا.. أشعر باندفاع لأن أكتب أن العرض انتهى الآن.. وأن الخيار قد أصبح بيد طرف ثالث.

- بإمكانك أن تجد هذا الطرف متى أردت. لا بد أنك تلتقي مئات من المرشحات في دائرة عملك.

- أجل.. هذا صحيح.

تنهد، ثم تثاءب بشدة:

- لكنني لا أريد الزواج من ممثلة.. مهما كثرت الإغراءات.. ما نفع الزواج إذا كنّا بالكاد نرى بعضنا؟ أريد شيئاً أكثر ثباتاً، أعود إلى المنزل لأجله.. خلفية عائلية كهذه.. هدوء وراحة و... واستمرارية.. هذه هي الكلمة: الاستمرارية.

قطبت بريتا: «أنت لا ترغب بالزواج مني بل بهذا المنزل كما أعتقد. فهو يحتوي فتاة مناسبة وعائلة جاهزة.. مسرح مكتمل العناصر.. لهذا يبدو لك العرض مغرياً. إنه جاهز ويوفر عليك العناء، ولا يتطلب منك سوى التوقيع على عقد».

جلس مستقيما في مقعده:

- أنت تستثنين المشاعر..

ابتسمت تقاطعه:

- لا.. أنا لا أستثني شيئاً.. أنت الذي تقوم بهذا.. كل هذا الكلام عن الراحة والدفء جيد جداً.. بينما أنا أريد الشاعرية والحب المشبوب والإحساس بالتحليق.. لكن الزواج يبدو بوصفك وكأنه مأوى للعجزة.

أطلق صيحة ضاحكة: «أنا آسف بريتا.. تبدين أحياناً أصغر بكثير من سنك، وأشعر أنا بالكبر.. ربما تجاوزت مرحلة الأمير الساحر.. وواضح أنك بحاجة لشخص أكثر شاعرية مني».

- أجل.. شخص أكثر نشاطاً.

تمادت كثيراً.. ففقز لويد من مكانه واقفاً والشرر يتطاير من عينيه:

- من المفترض أن أجعلك تسحبين كلمتك هذه سيدتي الشابة!

- بإمكانك هذا طبعاً.. فأنت أكبر حجماً مني، لكنك لو لكمتني على عيني سيخيب أمل أخوتي بك.

- لم أكن أفكر بلكمة على عينك.

فجأة حملها من مقعدها. فاحتجت مقطوعة الأنفاس:

- أنت تؤلمني...

- إذن أطلبي مني بكل لطف أن أنزلك.

قالت، تكاد تنفجر ضحكاً: «أكدت لربك أن لا خوف من بقائي معك وحدي! لا تثبت أنني كنت مخطئة».

سأل باهتمام: «ماذا قال؟».

- قال، إنك لو لم تكن شاذاً أو ضعيف النظر، لأحسست بشيء أكثر من الصداقة نحوي.. لأنه تنبّه إلى جمالي رغم أنني أخته.

رفعت نظرها إلى وجهه باستعطاف:

- لذا أنزلني.. أرجوك!

بابتسامة ساحرة قال: «إنه على حق طبعاً.. لقد عانيت الكثير لأبعد يديّ عنك، يوم ظننتك في الثانية عشرة، فأي فرصة لدي الآن وأنت فتاة ناضجة؟ على الأقل أكبر مما كنت يومها..!».

عرفت بريتا أنها جنت على نفسها. فنظرت إليه ساخطة:

- هذا محض سخافة.. أنزلني!

- حسن جداً.

وجلس وإياها على المقعد الجلدي يحضنها كطفلة:

- هاك.. هل هذا أفضل؟

- لا.. مختلف فقط.

- قلت لتوك إنك ترغبين في من يجعلك تحلّقين.

- عنيت مجازياً، لا حرفياً.. ولم أقصد أن تصدقني فيما أقول.

- وكيف تريدينني أن أفهم كلامك؟

بدت لهجة خطيرة مفاجئة في صوته، وبقيت بريتا جامدة دون حراك.. كان المنزل ساكناً جداً، ووهج النار يتلاشى.. فجأة بدأت بريتا تقاوم بشراسة، لكن الرجل الذي يحتضنها ضحك من أعماق حلقه.

ـ لا يمكن أن تكسبي.

ـ يمكنني أن أحاول..

لكن صوتها اختنق فوق صوف كنزته الناعم، بعد أن اشتدت ذراعاه حولها بقسوة: «من الأفضل ألا تقاومي».

تغيّر الخطر في صوته إلى لهجة إقناع ناعمة، أصابتها بذعر أكبر:

ـ يجب أن أفعل.. النار تنطفىء..

ـ لا يهم، سأبقيك دافئة.

تحركت بعنف ودفعت بالذراعين الملتفيتن حولها.. لكن قبضته ازدادت قوة:

ـ قلت إن لديك الكثير لتكوني ممتنة. وسرني سماع هذا. لكن كيف يمكن أن أمرر لدماغك العنيد الصغير، أن بإمكانك الحصول على أشياء كثيرة تسعدك، لو توقفت فقط عن المقاومة؟

رفعت نظرها إليه، ردها القاطع تلاشى أمام الغضب في عينيه..

وأكمل بخشونة:

ـ أعتذر لجرح مشاعرك الصغيرة المسكينة منذ سنوات مضت.. وآسف لفشلك في الامتحان اللعين.. لقد غازلتك في وقت غير مناسب.. لكن هذا لا يعني أنني أحنث بوعدي.. عرفت تماماً أنك كنت متعلقة بي.. واعتبرت أنني لست مناسباً لك فقررت أن أقتل هذا الحب في المهد. ولهذا أحضرت إيف لمقابلتك، كان ذلك أفضل.

سألت ساخرة:

ـ أفضل؟

ـ أحياناً يكون الشر ضرورياً.. ظننتك ستتجاوزين المرحلة بشكل أسرع.. لكنني أفسدت كل شيء وأنا أعانقك مرة أخرى في الصباح الأخير.. إنها غلطة ندمت عليها كثيراً وبمرارة، فيما بعد. بدوت تائهة، بائسة، وأنا أبتعد..

تنهد بعمق، وأكمل:

ـ على أي حال.. ما أحاول أن أقوله، إنني أكثر من مستعد لتحمل أية مسؤولية. أتحمّل مسؤوليتك بكل سرور.. والداك كانا مميزين. كلانا يعرف كم كانا يريدانك سعيدة، وأنا أعتقد أنك ستكونين سعيدة معي.

ردت متسرعة: «أتعني ذلك الترتيب العملي اللطيف الذي تقدمت به: مريح، غير متطلب، ككوب من حليب؟».

وحاولت مجدداً تحرير نفسها.

أطلق لعنة من بين أسنانه، ومددها على ركبتيه، ممسكاً بشعرها بوحشية، متجاهلاً مقاومتها الشرسة.. إلى أن أخذت تتراخى بالتدريج. تراجع لويد في مقعده يشدها معه، وضمها بقوة إلى أن تمكنت من سماع دقات قلبه الخافق بعنف، وتلاشى غضبها تماماً لهذا الإحساس الجديد الغامر.

أحست بالضياع، رأساً على عقب، في أول استجابة تختبرها.

ابتسمت له بغبطة لم تخفها، فاسودت عيناه، وارتفع اللون الأحمر إلى خديه وهو يجلس فجأة ويخلع كنزته.. لكن يديه توقفتا فجأة، وجمدا معاً. فقد انفتح الباب الأمامي وسمعا أصواتاً في الردهة الخارجية دفعتهما إلى الافتراق بسرعة.

دخل ريك إلى الغرفة يلحق جون به:

ـ مرحباً.. مرحباً.. لقد ربحنا الليلة.. لكننا فكرنا أن نعود باكراً.. في حال كان لويد لا يزال هنا..

التفت إلى أخيه الأكبر: «قلت لك إنه سيكون هنا».

صافح جون لويد بحماس:

ـ لويد.. عظيم أن نراك مجدداً! لقد افتقدتك.

حيا لويد الشابين بكل مظاهر السعادة. ولم يبدُ عليه أي تأثر، مما يؤكد على أنه ممثل بارع.. أما قلب بريتا فقد كان يقفز في صدرها كالحيوان الهائج.

قال ريك: «النار بحاجة إلى إنعاش.. سأحضر المزيد من الحطب».

وخرج وهو يصفر من الغرفة، بينما أخذ جون يسرد ما فعله خطوة خطوة منذ آخر مرة زار فيها لويد منزلهم.

عاد ريك إلى الغرفة يحمل الحطب.

قالت بريتا: «جون، ما رأيكما لو تأخذا صينية القهوة هذه وتحضرا لنا المزيد؟».

قال لويد وهو ينظر إلى ساعته:

ـ يجب أن أذهب الآن.. حقاً. لقد بقيت مدة أطول مما نويت أصلاً.

توسل إليه جون:

ـ أوه.. هيا لويد إبق قليلاً بعد.. بالكاد رأيتك، ولا يمكن أن تستغرق وقتاً طويلاً لتصل إلى المكان الذي تقصده في سيارة كسيارتك.

ـ آسف.. يجب أن أذهب.. عليّ أن أقابل شخصاً في البلدة صباحاً.

وقفت بريتا تمد يدها:

ـ كان لطفاً منك أن تزورنا.. عد مرة أخرى عندما تكون في المنطقة.. سنكون سعداء دائماً برؤيتك.

أمسك يدها ولمعت عيناه:

ـ رائع أن أعرف هذا بريتا. سأزوركم ما أن أعود من اليونان.

انحنى متعمداً يقبل خدها أمام أخويها:

ـ شكراً للعشاء.

مرر إصبعه على خدها المحمر ثم صافح الولدين:

ـ ترقبا ظهوري على التلفزيون الأحد القادم، ستعرض لي مسرحية.

وعداه بلهفة، ورافقه الجميع إلى الباب. وقفوا معاً يراقبون تحرك سيارته الجميلة فوق حصى الممر الداخلي.. نظرة إلى وجه أختهما المضطرب جعلت جون وريك يلتزمان حديثاً عادياً محايداً وهما يغسلان أواني القهوة..

جلس الجميع أمام شاشة التلفزيون ولم يمض وقت طويل حتى قالت بريتا:

ـ سأذهب لأنام الآن.. تصبحان على خير.

ـ تصبحين على خير.

مد جون يده إلى الأرض ليلتقط شريطاً حريرياً أحمر مجعد:

ـ هل هذا لك؟

ـ لويد كان يجلس هنا، ربما يكون له.

قال ريك يحاول إبقاء وجهه جامداً:

ـ طراز جديد.. هل لاحظت أنه كان يرتدي كنزته مقلوبة؟

انتزعت بريتا الشريط من جون، وركلت ريك بقسوة وهي تمر به، مما جعله يصيح ألماً.. وقال مصمماً على أن تكون الكلمة الأخيرة له:

ـ على كل حال، قبلة وداعه تثبت شيئاً.

سأل جون باهتمام: «ماذا تثبت؟».

ـ إنه ليس شاذاً أبداً، ولا أعمى!

بدا الذهول على جون: «وهل قال أحد إنه هكذا؟».

قالت بريتا بضبط نفس هائل:

ـ لا.. هذه فكرة ريك للتنكيت.. عمتما مساء.

* * *

٨ ـ هيا إلى النور!

بعد زيارة لويد، انشغل كل وقت بريتا بالتحضيرات لاستئناف جون وريك دراستهما الأكاديمية.. وهو نشاط كفيل باستنفاد كل فائض الطاقة عند أي كان.. وكانت مسرورة لهذا.. أسعدها انشغال تفكيرها عن لويد خلال النهار على الأقل، مع أن الأخوين جعلا الأمر صعباً في ممازحتهما لها دونما رحمة حول موضوع «النجم».. لكن، في هذه الأيام، كانت قادرة على التحمل، وسرعان ما نسي الشابان الأمر في غمرة الاستعداد لبدء الفصل الدراسي.. كان المنزل مرحاً جداً هذه الأيام.. أحياناً كانت بريتا تؤنب نفسها لعدم إحساسها بالأسف لرحيل خالتهم جيني لامار.

مع رحيل الشابين، اختلفت الأمور.. وأنبت نفسها على حماقتها.. لكن أحلام اليقظة حول لويد لم تكن أمراً جديداً.. لقد مرت بمثل هذا من قبل، وأعلنت أنها شفيت منذ سنوات.. لم تعد الآن تتشبث بولع غبي. أصبحت ناضجة ما فيه الكفاية لتعرف أن عناقاً أو اثنين لا يعنيان شيئاً.. مع ذلك، يبدو أن لويد مصمم على فرض وجوده.. فقد اتصل قبل سفره إلى اليونان، واستلمت مؤخراً رسالة منه يخبرها فيها عن التأخير في التصوير، ويصف المواقع التي صوروها حتى الآن، وينهي رسالته بالسؤال عن العائلة عامة، وبريتا بشكل خاص.. لم يكن في الرسالة شيء شخصي، مع ذلك خبأتها في حقيبتها، وبعد يومين كتبت رداً على العنوان الذي أعطاه. رسالة خجولة مختصرة، تشكره فيها لأنه بقي على اتصال بهم، وتقدم له تقريراً عن أحوالهم.

كانت غايل ريفرز تتصل بانتظام، في حديث هاتفي، كانت بريتا تنتظره بفارغ الصبر.. أخيراً دعتها ولاري لقضاء عطلة منتصف الفصل الدراسي في منزل أسرة ريفرز في «غلوتشستر» وقبلت بريتا الدعوة بسرور. وبانتظار العطلة، طارت الأيام، خاصة مع استقرار لاري تماماً في مدرسته الجديدة.. إلى أن اتصلت غايل مرة أخرى.

بدأت تقول باستعجال:

ـ بريتا.. كنت أكلم لتوي براي ميرزا عبر الهاتف.. اتصل بي فجأة.

ـ ومن هو براي ميرزا؟

ـ وكيل أعمال لويد حبي. وأعتقد أنني تكلمت كثيراً كالعادة، لكنه ماكر خبيث، ولقد قلت له الكثير قبل أن أدري.

ـ الكثير عن ماذا؟

ـ عنك حبي!

ـ أنا؟ ولماذا يسأل عني بحق السماء؟

ـ حسناً.. أعتقد أن السبب هو بعض النكسات في التصوير.

ـ طبعاً! لماذا لم تقولي هذا من قبل؟ الجميع يعرف أنني خبيرة بمثل هذه الأمور!

ـ لا تكوني ساخرة حبيبتي.. ستعرفين كل شيء هذا المساء، ولا تنسي أن تتصلي بي فيما بعد. أكاد أموت فضولاً.

وكذلك كانت بيرتا.. فقد جلست في المكتبة ذلك المساء، تنظر إلى الهاتف بقلق لكنه رفض أن يرن.. بعد وقت طويل، رن جرس البيت بدلاً منه.

وقفزت متوترة.. نادراً ما يزورها أحد في مثل هذا الوقت.. بنظرة سريعة إلى مرآة الردهة ملست خصلة شعر منفلتة عن وجهها، وفتحت الباب بحذر.. كان رجل غريب يقف هناك: قصير، ممتلىء الجسم، بشعر أسود، ووجه يبدو عليه الذكاء والحنكة.

ـ آنسة ديلاني؟ آنسة بريتا ديلاني؟ أنا براي ميرزا.. وكيل أعمال لويد

تشايلد. السيدة ريفرز أعطتني عنوانك، هكذا اغتنمت الفرصة وجئت لأراك شخصياً لأنني كنت في الجوار.

أخفت بريتا دهشتها خلف ابتسامة مهذبة:

ـ تفضل بالدخول، أرجوك.

أدخلته المكتبة التي لا يضيئها سوى لهيب النار، وأضاءت المصابيح ثم أشارت إلى مقعد ليجلس عليه.

ـ هل أقدم لك الشاي أم القهوة؟

ـ لا.. شكراً لك.. لقد تناولت العشاء منذ قليل.. لا بد أنك تتساءلين عن سبب وجودي هنا.

ردت بصراحة: «بل يتآكلني الفضول».

ـ سأدخل الموضوع.. لأول مرة في حياته المهنية، يظهر على لويد تشايلد علامات.. المزاج السيء..

نظرت إليه بذهول: فهمت.

ـ وهذا يعني أنك لم تفهمي، أصغي إلي جيداً.. «الحقد الدافع» وهذا اسم الفيلم، واجه بعض المتاعب. العمل مثير مع المخرج ليدجي. خاصة مع وجود السيدة ليدجي المشاركة في التمثيل. وقد تعرفينها أكثر، باسم ايف روس.

هزت بريتا رأسها إيجاباً، فأكمل:

ـ بداية.. واجه فريق العمل مصاعب كثيرة بمن فيهم ايف.. فزادت انفعالات ليدجي الدرامية وتوعكت إيف كثيراً إلى أن عرفت أنها عوارض الحمل... وذلك لم يعجبها. فقد فرح ليدجي كثيراً وأعلن أنها لن تستطيع لعب دورها، الذي يشمل الكثير من الوقوع عن الصخور، والغوص في البحر ثم الصعود إلى المركب. وحتى مع وجود بديلة تقوم بمعظم المخاطرات رفض ليدجي أن تعمل. وهنا يأتي دورك آنسة ديلاني.

للحظات مجنونة، فكرت بريتا أنه يطلب منها لعب الدور، ثم ابتسمت لأوهامها وسألت: «كيف؟».

ـ المنتج قلق جداً.. نجمنا يرفض أية علاقات عامة، لا يتكلم إلى الصحافة، ويبقى بعيداً عن الحفلات وما إلى ذلك.. إنه مكتئب كثيراً، ومنعزل. كلنا نعرف أنه لا يحب الدعاية، لكنه عادة يفعل ما بوسعه مثله مثل غيره.. يكبت امتعاضه ويقوم بعمله، حين تضطره الحاجة. لكنه هذه المرة، لا يفعل سوى...

أكملت آلياً: «الجلوس مكتئباً في خيمته».

ابتسم براي ميرزا:

ـ بل في غرفة الفندق بالضبط.. لا يظهر عليه الغضب، فهذا ليس من طبيعته. يتصرف بتهذيب ويحوّل الحديث إلى موضوع آخر لو سأله أحد.

ـ لا زلت لا أرى..

ـ سأشرح لك.. أريد منك السفر إلى اليونان، آنسة ديلاني.. وكذلك يريدك المخرج بعد أن فهمنا أنك سبب رغبة لويد بالعزلة.

نظرت إليه بريتا كالبلهاء: «لست جاداً.. سيد ميرزا!».

ـ دعيني أضيف المزيد.. أعرف عنك الكثير لأن لويد طرح علي أسئلة كثيرة، يوم جاء إلى لندن خلال إقامته في ويلز.. لأنه كان ينوي الزواج، كما قال، منك.. لكن يبدو أنك رفضته.. ولقد ألمحت لي غايل ريفرز بعد ظهر اليوم أنك لست منيعة تماماً أمام جاذبية بطلنا.

ـ أتحاول أن تسخر مني سيد ميرزا؟

ـ دعينا نقول، إن معظم النساء لسن منيعات. أرجوك أن تصدقي أنني أحبه كثيراً، بعيداً عن المال الذي أكسبه منه.. اذهبي إلى اليونان آنسة ديلاني.. أتوسل إليك، واجعليه يحس بالسعادة مجدداً.

ـ أتعني أن أظهر أمامه من حيث لا يدري، لأقول له «مرحباً لويد، كنت أمر بالمكان وفكرت أن أزورك!»

هزت رأسها بعينين ساخرتين:

ـ هذا أمر غير معقول، بكل تأكيد سيد ميرزا.

ـ أنت محقّة.. أصغي إذن إلى اقتراحي. لمنتج الفيلم إدي رستلر،

صديق في أيام الدراسة اسمه خريستو ديونيس، وهو ثري جداً. . ورث المال من شركة شحن بحري كما أعتقد. سيشارك السيد ديونيس في إنتاج هذا الفيلم. وهو مستعد لدفع مبلغ أكبر، وتوفير موقع تصوير في احدى الجزر، إضافة إلى المنامة. . لكن بشرط واحد. لخريستو صديقة صغيرة ممثلة. . ومع خروج إيف من الفيلم، يعتقد أن ماريا كاڤالوس ستكون البديل الرائع. .

سألت بريتا باهتمام: «وما رأي السيد رستلر؟».

ـ يقول إنها تمثل جيداً. وهي جميلة جداً، سمراء ومليئة حيوية. . شريكة جيدة للويد. لكن إنكليزيتها ثقيلة اللكنة. . وهنا، عزيزتي، نستطيع اصطياد عصفورين بحجر واحد. . فالسيدة ريڤرز أخبرتني أنك مؤهلة لتدريس فن الإلقاء المسرحي، وما إلى ذلك. . تحدثت مع إدي هاتفياً، وهو متحمس جداً لحضورك إلى اليونان لإعادة لويد إلى طبيعته، وفي الوقت عينه لتعليم الآنسة كاڤالوس اللفظ الإنكليزي الصحيح إلى أن ننتهي من تصوير دورها. . فهل توافقين؟

تنهدت بريتا وابتسمت له:

ـ أود ذلك كثيراً، سيد ميرزا. . لكن الأمر مستحيل.

ـ لماذا؟

ـ لا أستطيع ترك كل شيء هكذا وأسافر، لسوء الحظ. . لدي عمل في مدرسة الحضانة. والأهم أن لدي أخاً عمره خمس سنوات، هو في عهدتي. . ولا أستطيع تركه.

ـ لن يطول غيابك أكثر من أسبوعين. . سيعود الفريق كله إلى هنا بعد ذلك لتصوير المشاهد الداخلية. . وسيكون الراتب جيداً. . بل مغرياً.

لم يكن المال ما يغري بريتا بتلك الفكرة. . . كانت تتوق طوال حياتها لزيارة اليونان، وقد أحست بالحسد يوم سافرت خالتها إلى هناك. . والآن ها هي الفرصة أمامها.

بدأت تقول مفكرة:

ـ سيد ميرزا. . حتى ولو تغلبت على مصاعبي الشخصية، وسافرت إلى اليونان. . قد لا يكون هذا هو الحل لمشكلة لويد. . بصراحة، أكره فكرة الوصول إلى هناك لأجده. . لأجده غير مسرور لرؤيتي.

تجمد وجه پراي بابتسامة عريضة:

ـ أنا مستعد للمراهنة بآخر قرش معي على أنه سيسعد، عزيزتي.

بعد أقل من أسبوع، كانت بريتا في طريقها للوصول من اليابسة إلى جزيرة تشيروس. مرت الأيام التي سبقت رحيلها، بسرعة جنونية. فقد انشغلت بتحضيرات محمومة، ساعدتها غايل على إنجازها. فقد أخذتها وأخاها إلى منزلها، وتركت بيكت لرعاية الولدين، وجالت مع بريتا في محلات «غلوتشستر».

الآن، وقد وصلت إلى الجو المشمس الدافىء الجاف، أحست بالامتنان لملابسها الجديدة التي اشترتها لها غايل، كهدية. . ومع اقتراب مركب من الشاطىء، استندت إلى السياج، تثبت عينيها على الجزيرة المقتربة، تتمتع بمشهد الأبنية البيضاء المحيطة بالميناء، والممتدة بين أشجار الصنوبر التي تكسو التلال خلفها. . تشوقت لرفيق يشاطرها الجمال الرائع للجزيرة، تشيروس. . وعلى تشيروس سترى لويد، الذي لا يعرف أنها قادمة. . لتكن هذه مفاجأة له، كما قال پراي ميرزا، فالمفاجأة ستكون مبهجة. .

التقطت حقيبتها الوحيدة، ثم نزلت فوق الألواح الخشبية إلى البر، لترى أبنية بيضاء مربعة سقوفها من القرميد، وشرفاتها من الحديد المشغول المدهون بألوان براقة عليها مظلات زرقاء وخضراء وصفراء، تظلل الطاولات الصغيرة حيث يجلس الناس في ثياب مريحة، يرتشفون المرطبات الباردة. . ثم سمعت صوتاً مرحاً شاباً ينادي:

ـ مرحباً!

استدارت بريتا لترى فتاة مبتسمة، بوجه منمش، وخصلات شعر ذهبية، جسمها النحيل في بنطلون قصير وقميص مكشوف.

ـ أنا ڤيتي. . وأنت لا بد الآنسة بريتا ديلاني.

ابتسمت بريتا لها وحيتها، لقد أعجبت كثيراً بابتسامة ڤيتي المرحة.

ـ هل هذه كل أمتعتك؟

دون انتظار الرد، وضعت إصبعين في فمها وصفرت:

ـ أوي.. باولو! تحرك.. تعال وخذ هذه.

هرع شاب مجعد الشعر وأخذ الحقيبة. ابتسم لبريتا متمتماً «كاليميرا» قبل أن يبتعد بخفة على الرصيف. تقدمت ڤيتي إلى دراجة نارية متوقفة في مكان قريب، ونظرت بارتياب إلى كعبي حذاء بريتا المرتفعين.

ـ أتظنين أن بإمكانك الركوب خلفي؟ المكان ليس بعيداً.

ـ بالطبع أستطيع.. أليس هناك سيّارات أجرة؟

ـ اثنان أو ثلاث، لكن أصحابها خرجوا إلى الصيد. هناك بضع سيارات خاصة، التنقل ليس مشكلة.. فريق الفيلم جاء بسياراته الخاصة بالطبع.

أدارت ڤيتي الدرّاجة وصاحت: جاهزة؟

وانطلقت وسط نظرات المتفرجين المعجبين. مرّت أمام المباني المحاذية لرصيف الميناء قبل أن تنعطف بحدة لتصعد طريقاً وعرة قادتهما إلى مبنى كبير من طابقين، له نوافذ زرقاء وشرفات صفراء..

قالت ڤيتي:

ـ أهلاً بك في ڤيلا «يونيڤرز».. هنا يقيم معظمنا.. السيد ديونيس.. هل سمعت به؟

لحقت بريتا بالفتاة على السلم: قليلاً.

ودخلتا الڤيلا الباردة المعتمة قليلاً فأراحت بريتا عينيها من بريق الشمس الساطع في الخارج.

ـ إنه صاحب هذا المكان.. يؤجره للسواح، لكنه أعطاه لنا لمدة أسبوعين.

قادتها ڤيتي إلى غرفة كبيرة جدرانها بيضاء وأثاثها بسيط، في داخلها سريرين.. وقالت: «أكره أن أوصل لك خبراً سيئاً.. لكنك ستشاركينني الغرفة».

وتمددت على أحد السريرين، وشبكت يديها خلف رأسها.

ابتسمت بريتا بدفء: «أنا لا أمانع إذا لم تمانعي أنت.. في الواقع تعجبني الفكرة.. كنت متوترة بسبب مجيئي إلى هنا».

ـ متوترة؟ لماذا؟

ـ لم أقم بشيء كهذا من قبل.. وأنا خائفة قليلاً. هل ماريا كاڤالوس، هذه، شخصية لطيفة؟

ـ لا.. لكن لا تقلقي..

قرع الباب فقال «ادخل». دخل باولو ومعه الحقيبة وابتسم خجلاً حين أعطته بريتا إكرامية وهو يخرج.. بسرعة غيرت ملابسها لترتدي بنطلوناً قصيراً وقميصاً قطنياً، ودست قدميها في صندال جلدي، بينما كانت ڤيتي تثرثر دون انقطاع.. إنها «مساعدة المخرج» وهذا يعني أنها تقوم بأعمال عامة وتجري في كل اتجاه. اسمها الحقيقي هيلاري لكن الجميع يناديها ڤيتي لأنها سريعة ونشيطة الحركة، وحمراء الشعر. وأكملت:

ـ لويد شعره أحمر، لكن، لا أحد يجرؤ على مناداته بأسماء مستعارة.. إنه يزداد اسمراراً وجمالاً كل يوم.. إنه فعلاً شخص هادىء.. لكنه الآن في مزاج سيء حساس. أنا أتكلم عن لويد تشايلد.. رأيته يمثل بالطبع.

أرادت أن تعرف أين هو لويد في هذه اللحظات، فسألت:

ـ ماذا سأفعل الآن؟

ـ من المفترض أن أجول بك في الجزيرة قليلاً، ثم ترتاحين. سيأتي أدي رستلر ليراك بعد انتهاء التصوير اليومي.. كلهم الآن في الجهة الأخرى من الجزيرة، يجرون على الشاطىء الصخري ويتمتعون بوقتهم.. والآنسة ك. مشغولة جداً اليوم، لذا لن تستطيعي البدء بالعمل بعد.

أحست بريتا بالإحباط.. كانت تعتقد أنها سترى لويد على الفور.. لكنها أخفت إحباطها:

ـ هل نستطيع التجوال إذن؟ أحب التعرف على الجزيرة.

ـ بكل تأكيد.. فلنأكل شيئاً عند ريكوس أولاً. أكاد أموت جوعاً.

ريكوس كان مقهى رصيف عند الميناء في ساحة البلدة.

تمتعت بريتا بطعامه كثيراً.. وأدركت أنها فعلاً هنا، أخيراً، في اليونان، ولمدة أسبوعين، دون أن يشوب إقامتها شائبة، سوى تدريس الآنسة ماريا كاڤالوس.. قالت ڤيتي إن التصوير الآن أفضل بقليل، لكن الجزء الذي يتم إنجازه في الموقع الرئيسي كان يتعرض للعراقيل.

- كسر بديل لويد ساقه وهو يقوم بعمله في مرتفعات «بارناسوس» واو.. يا له من مكان؟

- وماذا حدث؟

- اضطر لويد إلى حمله حوالى الميل إلى أن وصل به إلى وسائل النقل، ثم إلى المستشفى.. واضطر إلى تنفيذ المشاهد الخطيرة بنفسه إلى أن وجدوا له البديل هذا الأسبوع.

- يبدو هذا مثيراً.. ما موضوع الفيلم؟

- أوه.. عن التهريب، الخيانة، والكثير من العنف.. وتلعب ماريا دور إلهة انتقام عصرية مصممة على الثأر.. ولويد هو من تنوي قتله. لكنهما يعلقان معاً في كهف وهو مجروح، وتقع في حبه.. فيه الكثير من المشاهد المثيرة.

وضحكت ڤيتي بوقاحة.

احمرت وجنتا بريتا وثبتت نظارتها الشمسية مكانها بحزم.

- هيا إذن ڤيتي.. لنتجوّل طالما أنا دون عمل.

سارتا بتكاسل عبر القرية الشديدة الانحدار.

واجهتهما في كل مكان ابتسامات مرحبة على شفاه نساء يرتدين ثياباً سوداء، ومن رجال كبار في السن يجلسون على الشرفات تحت أشعة الشمس التي تعمي الأبصار. في قمة التلة اختفت المنازل وضاق الطريق عبر أشجار الصنوبر.. مرتا بكنيسة صغيرة بيضاء ببرج مرتفع مدهون بلون أزرق كالسماء.. ثم في موقع أكثر ارتفاعاً، ظهرت ڤيلا كبيرة زهرية اللون تكاد أغصان السرو التي تحرسها تخفيها عن الأنظار.

قالت بريتا بابتهاج:

- أعجز عن الكلام أمام جمال المنظر.

- انتظري لترى ڤيلا «نيمف» إنها جميلة، جنة بكل معنى الكلمة.

- لا أعتقد أنني سأراها.

- وهل تظنين أن ماريا ستنزل إلى ڤيلا يونيڤرس لتأخذ دروسها؟ لن تفعل أبداً.. يجب أن تصعدي أنت.

فجأة أحست بريتا بالتعب، وقالت:

- ربما من الأفضل أن نعود.. آسفة لضعفي لكنني متعبة من السفر.

في طريق العودة تابعت ڤيتي سرد تعليقاتها المرحة، ثم تركت بريتا في غرفتهما لتنام قليلاً:

- ستحتاجين إلى كل قواك في الغد حبي.

حين استيقظت بريتا كانت الغرفة معتمة. لم يكن أمامها سوى بضع دقائق لتبدو لائقة المظهر، فاستحمت وارتدت بنطلونها الزهري وقميصها الحريري الأبيض، ثم جلست على شرفة صغيرة خارج الغرفة، تنتظر استدعاءها.

دخلت ڤيتي بسرعة إلى الغرفة.

- تحضري بريتا.. إدي في الأسفل يطالب بحضورك.

تركت بريتا الغرفة مسرعة. نزلت على السلم فلفت نظرها رجل يقف في باب الردهة ينظر إلى الخارج، وظهره إليها.

قالت: «سيد رستلر؟».

استدار الرجل والابتسامة على وجهه. جمد وهو ينظر إليها.. كان في الثلاثينات من عمره، نحيل، متململ، بوجه متعب ذكي تحت شعر أشقر كثيف يتدلى على جبينه.

- إذن.. أنت بريتا ديلاني.. من كان ليصدق!

مد يده إليها مبتسماً: «أنا إدي رستلر. أخلاقي سيئة، كما ترين.. أهلاً بك على الجزيرة بريتا».

أخذت يده مبتسمة بتحفظ: «شكراً لك سيد رستلر».

ـ دعينا نخرج من هنا قبل أن تصل العصابة وإلا لن نحصل على الهدوء. تعالي نتناول المرطبات في مقهى ريكو.. ربما نستطيع أن نتكلم بعيداً عن الآذان الفضولية.

جلسا في مكان منزوٍ خارج المقهى. قال إدي:

ـ إذن.. أنت سبب عدوانية لويد. لست أبداً كما تصورتك.

نظرت بريتا إليه مفكرة ثم ارتشفت قليلاً من الليموناده قبل أن تجيب.

ـ أنا مقتنعة تماماً أن عزلة لويد لا علاقة لها بي.. على أية حال، أفهم من دهشتك أن مظهري لا يلفت النظر حتى يكون لويد متعلقاً بي.

ـ يا إلهي.. لا! أعني.. أنت مختلفة، هذا كل شيء. وتبدين صغيرة جداً.

تراجع إدي في كرسيه ينظر إليها باحترام:

ـ قال لي براي ميرز إنك تعلمين الدراما وفن الإلقاء.

ـ لا.. بل أعلم في مدرسة حضانة، لكنني مؤهلة لأعلمهما. أظنّ أن السيد ميرزا اعتقد أنني قد أحقق هدفين في وقت واحد.. لكن يجب أن أقول الآن، إن الهدف الوحيد المضمون، هو تحسين لفظ الآنسة كاثالوس باللغة الإنكليزية.. أما بالنسبة للويد، فأنا لا أعد بشيء.

وضع إدي مرفقه على الطاولة:

ـ حسن جداً، دعيني أكون واضحاً.. سيكون كل شيء أسهل لو بدا لويد مفتوناً بسحرك من أول نظرة.

ـ لماذا؟

ـ لأن خريستو رجل متملك. وقد يسحب كل ماله إذا اعتقد أن ماريا ترغب بلويد.. وهذا ما يحصل فعلاً.

ـ وهل يرغب لويد بها؟

ـ لا.. أراهن على هذا.. لكن، على اليابسة أمضى كل وقته مع أحد المصوّرين يستكشفان المعالم الأثرية.. لكن هنا في الجزيرة لا معالم أثرية

مهمة، ولويد بدأ يسأم.

تنهد إدي بتوتر: «من يدري، إذا تقربت منه في ضوء القمر وكان هو سئماً، قد يقع لويد في مصيدة ماريا التي لا تنفكّ تلاحقه».

ـ إذن.. الأمر بسيط جداً. كل ما تريدني أن أفعله، هو تعليمها النطق الصحيح بالإنكليزية وإبعاد لويد عنها.

هزت رأسها: «أوه.. يا إلهي.. لن تكون مسرورة أبداً لهذا».

ـ حبيبتي.. فكري بالأمر.. ليدجي يخرج فيلماً لممثلة يونانية مغمورة «اكتشفت» لتقف أمام لويد تشايلد، ولن تنجح كثيراً.. لكن بالإمكان أن تسهلي الأمور علينا.. لطالما كان ليدجي يغار من لويد.. تكفينا هذه العقبة حتى بعد أن خرجت إيف من الفيلم.

بدا على وجهه القلق والإحباط.

ـ لو شعر خريستو بأن ماريا تتقرّب من لويد لانتهى الأمر... لكن الحق يقال إنه ليس للويد يد في ذلك.

تنهدت بريتا: «إذن يجب أن أرمي نفسي في النار، وأنتزع لويد من أحضان امرأة مغرية وأكثر خبرة مني».

ـ هكذا بالضبط.

ـ يمكنني أن أجرب..

ـ أنت لا تقدّرين نفسك حقّ التقدير.. هل نقوم بالمواجهة قبل العشاء؟ نحن نميل إلى تناول العشاء في وقت متأخر هنا.

قطبت بريتا وأجابت: «لم أكن أعتقد أنني سأرمى إلى الأسود بسرعة».

قادها إلى سيارة جيب قديمة، ورفعها إلى الداخل قبل أن يصعد وراء المقود ليقودها في اتجاه معاكس لڤيلا يونيڤرسال. تبع طريقاً متعرجة صاعدة، تتجه من الخط الساحلي إلى غابة الصنوبر التي أصبحت الآن مألوفة لبريتا. ليتوقف أخيراً أمام المنزل.

توقف إدي أمام ڤيلا «نيمف» التي توهجت بكل جمال. كانت عمدانها بيضاء كسراب على ضوء المصابيح المزروعة بفن بين أشجار اللوز والنخيل،

في الحديقة الرائعة الجمال.. وأطلقت بريتا صفرة منخفضة.

قال إدي موافقاً: «إنه كوخ صغير جميل.. خريستو مسافر إلى أثينا في الوقت الحاضر.. وسيعود غداً مع بضعة أصدقاء يتشوقون لمقابلة لويد.. ستقام حفلة رائعة جداً ليلة الغد، الجميع مدعو. على فكرة، أنا الوحيد الذي يعرف بأمرك مع لويد.. الجميع يظن أنك مدربة استدعيت للتدريس كسباً للوقت».

ـ لكنني التقيت بإيف ليدجي.. ولكنها قد لا تتذكرني.

تمتم إدي لاعناً بصوت منخفض، ثم هز كتفيه:

ـ لا تستطيع فعل شيء.. سيكون من المثير رؤية ردة فعلها. لن ندخل المنزل، ففي مثل هذا الوقت، يتجمع الكل حول بركة السباحة.. دعينا نفاجئهم.

هبط قلب بريتا إلى قدميها ولحقت بجسم إدي النحيل عبر حديقة غناء جميلة التنسيق وانعطفا خلف المنزل، حيث كانت بركة بيضاوية الشكل تلمع وسط مصطبة مكسوة بالرخام.. كان في البركة رجل يقطع المسافة سباحة. عندما رفع نفسه من البركة، توقف قلب بريتا للحظة.. وتقدم إدي نحو لويد، ثم توقف فجأة، حين خرج طيف من بين الأشجار ورمى نفسه بين ذراعي لويد.. وكان الطيف دون أدنى شك لأنثى ذات شعر طويل أسود وجسد رائع الثنايا، ظاهر الكمال حتى في النور الخافت... ورأت بريتا عضلات كتفيه تتوتران وهو يتلقى ثقل جسم الفتاة.

أخذ إدي يشتم من بين أسنانه، ثم ترك يد بريتا ليسير عبر التراس، يسعل بصوت مرتفع.. في طريقه، التقط روباً شفافاً من على أحد المقاعد.. وقال: «والآن ماريا؟»

رأت بريتا لويد يدفع الفتاة عنه.. وكورت الفتاة شفتيها حرداً.. وقفتها تدل على الغضب، وأكمل إدي:

ـ خريستو لن يعجبه كل هذا، أليس كذلك؟

رمت الفتاة شعرها إلى الوراء تنظر إلى إدي:

ـ خريستو ليس هنا.. فلم أنت هنا؟ ظننتك ذهبت.

كان صوتها عميقاً، وأجش قليلاً، بلكنة جذابة. بدا لويد غاضباً، ولو من على مسافة، أصغت بريتا لتسمع ما يقال.. ثم رفع إدي صوته:

ـ لقد جئتك بالسيدة التي ستعلمك الإلقاء بالإنكليزية

التفت نحو بريتا:

ـ تقدمي إلى هنا لأقدمك إلى بطلينا.

تقدمت بريتا فوق التراس متثاقلة، تحاول إبقاء عينيها على وجه ماريا الجميل، وتعي بكل ذرة منها وجود لويد الذي وقف كالتمثال ويده مرفوعة إلى شعره المبلل. اتسعت عيناه بعدم التصديق وهو يحدق إلى الفتاة النحيلة المتقدمة نحوه.

قال إدي: «هذه بريتا ديلاني.. وهذه ماريا كاڤالوس.

قالت الفتاة اليونانية بلكنتها القوية: «مرحباً!».

تابع إدي يشعر بالحرارة لمهمته:

ـ وهذا لويد تشايلد، لكنك تعرفينه بالطبع.

ابتسمت بريتا آلياً للفتاة قبل أن تلتفت إلى لويد: «بالطبع..».

مد لويد يده وأمسك يدها الباردة، ليضغط عليها بشدة قبل أن يتركها.

قال بصوت متوتر:

ـ بريتا؟ أهلاً بك في «تشيروس».

ردت بأدب: «شكراً لك».

فرك إدي يديه معاً:

ـ حسن جداً.. اذهبا أنتما وارتديا ملابسكما ثم نتحدث قليلاً.. ربما يمكن أن تطلب لنا المرطبات لويد، وأنت تدخل غرفتك.

رد لويد، عيناه لا زالتا مسمّرتين على بريتا:

ـ ماذا؟ أوه.. طبعاً.

راقبته ماريا مقطبة وفمها الممتلىء فاغر بقنوط..

أدركت بريتا فجأة أن ماريا كاڤالوس صغيرة جداً. في الواقع، لا تزيد

عن الثمانية عشرة أو التسعة عشرة سنة.. وابتسمت لنفسها.. للويد تجربة كبيرة في دفع تحرشات مراهقة عنه.. ولن يكون آخرها بريتا ديلاني، التي كانت مراهقة ذات يوم.

قال إدي بجرأة:

- اذهب لويد.. ستكون هنا حين تعود.

قال لويد: «سأراك فيما بعد إذن، آنسة ديلاني».

كانت عيناه باردتين، قبل أن يتقدم نحو المنزل، وماريا تركض وراءه تتعلق بذراعه.

جلست بريتا على كرسي قرب طاولة، ونظرت إلى إدي نظرة شريرة وهو يجلس إلى جانبها.. ثم قال وهو ينظر إليها متردداً:

- آسف.. أرجو ألا تكوني منزعجة.

- لست منزعجة.. بل أكثر من هذا بكثير.. مع وجود كل هذا الإغواء في متناول يده، لماذا، بحق السماء، يحتاج لويد إلى من يخرجه من اكتئابه؟

ضحك إدي، وقفز واقفاً مع مجيء شاب يوناني بصينية مليئة بأنواع العصير ليضعها على الطاولة..

تقدمت إيف بسرعة نحوهم وعطرها يسبقها:

- مرحباً إدي.. مرحباً ماريا.

وجلست في كرسي قريب.

قالت بريتا: «أنا لست ماريا».

نظرت إيف إليها جيداً، ثم ابتسمت:

- لا.. لست ماريا.. هذا الشعر الأسود الطويل ضللني.. آسفة.. مع ذلك.. ألا أعرفك؟ ألم نلتق من قبل؟

- التقينا مرة واحدة منذ زمن طويل، اسمي بريتا ديلاني.. جاء بك لويد إلى منزلنا في «غلوتشستر شاير» مرة.

تهلل وجه إيف: «بالطبع! أتذكر الآن.. كنت فتاة صغيرة حلوة،

متزنة، شعرها مربوط إلى الخلف، وتحيين لويد بعنف».

- هل كنت واضحة إلى هذا الحد؟

- بالنسبة لي على أية حال حبيبتي.. لأنني كنت أحبه كذلك.. في الحقيقة ما زلت أحبه قليلاً.

تأوه إدي، وأدارت إيف عينين زرقاوين لامعتين إلى إدي:

- هل من مشاكل.. حبيبي؟

قال إدي بعد تردد: «دعيني أكشف لك سراً.. إيف».

بسرعة واختصار أبلغها عن تآمره مع براي ميرزا لإسعاد لويد وإبعاد ماريا في ضربة واحدة.. أصغت أيف مذهولة، ثم أدارت عينين براقتين إلى بريتا:

- إذن أنت سبب عزلة لويد الاجتماعية! لست مندهشة.. وأنا أفكر بالأمر الآن.. كان لديه نقطة ضعف هائلة نحوك، حتى وأنت طفلة!

أجفلت بريتا: «كنت في التاسعة عشرة».

- حقاً؟ بدوت وكأنك في الثانية عشرة! من اللطف أن يبقى لويد على اتصال بك طوال هذه السنوات.

- لم يفعل هذا، فأنا لم أره منذ أتيت معه. التقينا في «ويلز» صدفة منذ شهرين فقط.

تراجعت مرتاحة في مقعدها.

- إذن، وجد لويد صديقته الصغيرة وقد كبرت وأصبحت رائعة.. مع أنك لم تكبري حجماً، حبيبتي.. لست أدري كيف ظننتك ماريا!

ردت بريتا بأسى: «ولا أنا أدري».

- ماذا حدث إذن؟ هل نظر إليك نظرة واحدة ووقع أرضاً يطلب منك أن تكوني له إلى الأبد؟

قال إدي:

- هذا ما حصل.. لكن بريتا رفضته.

نظرت ايف إلى بريتا برعب:

ـ هل فعلت ذلك؟ . . لكن كل نساء بريطانيا يعانقن شاشات التلفزيون بحرارة تشوقاً له! لا شك أنك شفيت من غرام المراهقة تماماً.

ردت صادقة: «لن أقول هذا بالضبط. لكنني مقتنعة أنه طلب يدي بدافع الشفقة وعقدة الذنب لأنه نسيني طوال السنوات التي مرت، لذا رفضت».

نظرت إليها إيف بذهول:

ـ فتاة غريبة. . ما من رجل يطلب الزواج من فتاة بدافع الإحساس بالذنب أيتها المغفلة. لا بد أنك لا زلت تشعرين بشيء نحوه، وإلا لما جئت مسرعة إلى هنا دون سابق إنذار. . أليس كذلك؟

احمر وجه بريتا، والتزمت الصمت.

بعد قليل وصل لويد فقالت له ايف التي أشرق وجهها:

ـ أليس الأمر مذهلاً حبيبي؟ وجود بريتا هنا؟

قال دون تعبير: «مفاجأة من حيث لا ندري».

التفت إلى إدي دون ابتسام:

ـ من المؤكد أنك كنت تعرف أنها صديقة لي. . لماذا لم يقل لي أحد إنها قادمة؟

ابتسم إدي ساخراً:

ـ ظننت أنها ستكون مفاجأة حلوة، صديقي.

ـ في هذه الحالة، أنا واثق أنك وإيف ستعذرانني لو أخذت بريتا إلى الشاطىء لأعرف منها آخر الأخبار.

انحنى بسرعة يسحب بريتا من على كرسيها، يبتسم لنظرة التمرد على وجهها:

ـ الطريق قد تكون وعرة. . لكن القمر سينير لنا الطريق بما يكفي.

ابتسمت إيف مشجعة، وحياهما إدي بيده، بينما سارت بريتا على مضض عبر ممر منحدر إلى خليج صغير، تلمع الحصى فيه كأنها اللآلىء تحت

نور القمر. . وكانا معاً يتنفسان بصعوبة حين توقفا، وأمسك لويد بذراعي بريتا بقسوة وهو يديرها لتواجهه.

ـ والآن! ماذا تفعلين هنا. . بالضبط؟

ردت عليه نظرته دون أن يرف لها جفن:

ـ لا شيء غير قانوني. . لذا لا داعي أن تعاملني كمجرمة. . جئت لأعلم ماريا كاڤالوس النطق الإنكليزي السليم، كما قال إدي تماماً.

ـ وأنا واثق أنك ستقومين بعملك جيداً. . لكن لماذا أنت؟ وكيف حصل هذا؟

سحبت نفسها منه، ودعكت ذراعيها حيث كان يشد عليها:

ـ جاء السيد ميرزا لمقابلتي، وسألني إذا كنت مستعدة. . كان لديه فكرة غريبة. ظنّ أنك ستفرح بحضوري!

دس يديه في جيبيه ووجهه خدر: «وماذا كان شعورك؟».

ابتسمت بسخرية: «رحلة مجانية إلى الجزر اليونانية، بل أتقاضى أجراً كذلك، كيف يمكن أن يشعر أي إنسان؟ قفزت أتمسك بالفرصة».

قطّب: «وماذا عن لاري؟ ماذا فعلت به؟».

ـ إنه مع غايل.

ـ آه. . غايل. . كنت أعرف أن لها يداً في كل هذا. تظن أنها ملاكي الحارس.

ـ أختك لطيفة جداً معي.

ـ وأنا كذلك، لو أعطيتني الفرصة! لقد حاولت جهدي، والله يعلم، ودون نجاح حتى الآن. . بصراحة، أنا تائه في بحر واسع. . أحياناً تصرين على رفضي وأحياناً أخرى، تأتين إلى هنا.

ردت ببرود: «هذه فكرة پراي ميرزا، وليست فكرتي. . تعليم ماريا اهتمام ثانوي فالغرض الرئيسي هو فتنة النجم الكبير، وإخراجه من اكتئابه، كي يهتم بمن حوله، والتأكد من بقاء خريستو ديونيس راضياً. . وبإمكاني تقدير حجم المشكلة بعد المشهد الصغير الذي واجهني منذ قليل».

ـ لو رأيته جيداً . . لعرفت أنها هي التي رمت نفسها .

ـ وأنت قاومتها بقسوة، لا؟

تكورت شفتاه بابتسامة مثيرة بطيئة: «أنت تغارين»!

ـ أبداً . . إذا كنت أشعر بشيء، فهو أن وجودي ليس ضرورياً.

وقفا يواجهان بعضهما كخصمين متقاتلين. وبريتا تشعر بذل عميق لأنه بدا منزعجاً لوصولها، بدلاً من أن يسعد . . أخذت نفساً عميقاً . . . وقالت:

ـ فهمت أن المشكلة مالية لا أخلاقية . . فإذا شكّ خريستو أن ماريا تسعى إليك، فالوداع للمال . . لذا، لو بدوت . . ودوداً معي، سيرتاح إدي.

ـ لن يسعد ليدجي لو نفد المال في هذه المرحلة.

نظر إليها بطريقة مقلقة ثم قال ببرود:

ـ يبدو لي أن هناك من يحاول إدارة حياتنا كما يحلو له. الإنتاج هو عمل إدي رستلر. لا علاقة له بحياتي الخاصة . . يدهشني أن أجدك ودودة معه . . بعد تعارف قصير.

ـ كان ودوداً معي، هذا كل شيء . . لكن مقابلتك لي لم تكن كذلك!

أدارت ظهرها بسرعة لتخفي دموعها.

تقدم خلفها، يدس ذراعيه حول خصرها ويجذبها بقوة إليه، وهمس في أذنها:

ـ بإمكاني التعويض عن هذا! معك أنت، يمكنني أن أكون ودوداً جداً في الواقع، دون أي تملق.

شهقت تهز رأسها بجنون تحاول الخلاص . . لكن ذراعيه كانتا كقيد فولاذي . .

سألها بهدوء: «لماذا تقاومين؟ أليس هذا ما يُدفع لك من أجله؟ أن تسلي النجم الأناني؟».

تراخت بريتا، وأصبحت معلقة بين ذراعيه ورأسها محني إلى الأسفل،

وجهها المصدوم مخبأ وراء ستارة شعرها الكثيف. أدارها بين ذراعيه، ورفع وجهها نحوه، لكن عينيها بقيتا مغمضتين بكل عناد. أجفلت لمرور إصبعه على خدها:

ـ أتبكين بريتا . . لماذا؟

ردت بمرارة: «تجعلني أحس أنني رخيصة».

صاح: «كفي عن هذا؟».

هزها قليلاً وتغيّر تعبير وجهه إلى عجز حقيقي وسأل:

ـ لماذا نفعل كل هذا ببعضنا؟

وأشار بيديه إلى الأمواج الفضية التي تحد الحصى الأبيض.

ـ أجيء إلى هنا كل ليلة لأجلس وحدي . . أحدق بكل هذا وأتساءل عن جدوى كل هذا الجمال إن لم تكوني هنا لتشاركيني به . . والآن، وبمعجزة لا زلت أحاول فهمها . . أنت هنا، وكل ما نفعله هو الشجار!

قالت بخشونة: «هناك مغزى لكل هذه القصة . . أنا لست من تحتاج إليه . . ».

ـ بلى . . أنت بكل تأكيد . .

وضمها مجدداً كمن يحس بضياع شديد. وللحظات عمياء مشحونة، تركته بريتا . . ثم انتزعت نفسها منه، تدفع بذراعيه عنها:

ـ لا . . لويد!

نظر إليها بذهول، أنفاسه متقطعة: «لم لا؟».

ـ لا أريد أن أكون في المرتبة الثانية لويد . . . على أي حال، لست المرأة الأولى التي تضمها إليك الليلة.

شد على فكه لحظات، ثم خلا وجهه من أي تعبير:

ـ سأعيدك إلى الڤيلا.

وضع يداً عفوية تحت مرفقها، يسندها لتصعد الممر بسرعة خطيرة . .

كانت تلهث محمرة الوجه، وقدماها تحترقان حين دخلا التراس الرخامي . .

ونادت إيف:

ـ حبيباي.. تحركا.. العشاء يكاد يجهز.

كانت ماريا محتشمة بفستان أبيض ضيق، تقضم فاكهة من على الطاولة أمامها.. ونظرت بعدوانية إلى لويد وهو يتقدم مع بريتا نحوهم.. ثم قالت وهي تنظر بحدة إلى شعر بريتا المشعث:

ـ لقد تأخرتما.

قال ببرود:

ـ كان هناك الكثير لنرويه لبعضنا. أين ديموس، إيف؟

ـ يتحدث في الهاتف، لا بد أنكما جائعان بعد تسلق التل.

قالت بريتا بهدوء: «وعدت ڤيتي أن آكل معها».

قفز إدي واقفاً: «سأوصلك إلى هناك».

قال لويد باقتضاب: «سأفعل هذا بنفسي.. أعطني مفاتيح السيارة».

حيت الجميع، وتحضرت للانصراف.

قال لويد فجأة: «أنت تعرجين».

ـ لا شيء يذكر.

وقفت إيف تجرها نحو النور:

ـ حبيبتي! قدمك تنزف.

كانت قدمها حافية إلا من رباطين جلديين يمسكان بنعل الصندال، والدم يتدفق من عدة جروح.. أخذ لويد يلعن من بين أسنانه، وحملها دونما كياسة، إلى الڤيلا، ثم صعوداً على السلم إلى حمام جدرانه مكسوة بالمرايا، وأرضه بالرخام. لحقت بهما إيف بسرعة.. وبحركات خبيرة، نظفت الجروح بالمطهرات وغطتها باللصوق وسارت بها قليلاً كتجربة، بينما كان لويد يراقبهما بصمت متجهم.

أخيراً قالت: «هاك.. أفضل حالاً؟».

دست بريتا قدمها مجدداً في الصندال:

ـ رائع.. شكراً لك.. سأجيء بحذاء سميك خاص بالسير في المرة القادمة.

ـ كان يجب أن يكون لويد أكثر تعقلاً من أن يجرك نزولاً وصعوداً في ذلك الممر..

صاح لويد:

ـ أوه.. لأجل السماء إيف.. ألا تظنين أنني أشعر بالقذارة بما يكفي!

لدهشة بريتا، ربتت إيف يده مواسية:

ـ أجل.. طبعاً.. أسعدت مساء بريتا.. وابقي هذه القدم مرتاحة الليلة.

حملها لويد مرّة أخرى وهبط بها السلم حيث التقيا برجل أسمر.

قالت إيف:

ـ هذه بريتا ديلاني.. معلمة ماريا.

ـ أهلاً بك آنسة ديلاني.. أرجو ألا تكوني مريضة؟

قال لويد متوتراً:

ـ أخذتها لتسلق الصخور.. خدشت قدمها قليلاً.. أراك فيما بعد، سأوصلها إلى البلدة.

سأل ديموس: «وهل تنوي حملها طوال الطريق؟».

ضحكت إيف: «لقد استعار جيب إدي».

استقلا السيارة وهبط التل على الطرق الملتوية. وعندما وصلا إلى ڤيلا بونيڤرس، سألها: أين هي غرفتك؟ في الطابق الأعلى؟

أجابت على مضض: «أجل».

ـ من الأفضل أن أحملك إلى فوق.. لن تستطيعي الصعود درجتين.

ـ طبعاً أستطيع.

دون حكمة، نزلت لوحدها من السيارة.. جعل الصراخ الذي أطلقته ما إن لمست قدمها الأرض لويد يهز رأسه بنفاد صبر، وهو يحملها مرة أخرى، ويصعد بها السلم إلى الطابق الأعلى.

سأل: «أية غرفة؟».

دلته عليها فدخل دون أن يقرع الباب. أضاء النور بمرفقه، ورفس

الباب ليغلقه ويجلس على السرير، يمسك بها بحزم.

ـ أنا أشارك الغرفة مع ڤيتي.

ـ لا بد أنها الآن في المطعم مع بقية الفريق، وستبقى لساعات.

رفع لها رأسها بإصبعه:

ـ إضافة إلى هذا.. أنا لن أغادر إلى أن أحصل على تعويض عن عملي الشاق.

بدأت تقاومه بغير اتزان، ففقد توازنه ووقعا جانبياً على السرير، وزاد هذا في معارضتها.

تمتم: «توقفي عن هذا!».

حاول أن يثبتها لكنه أجفل فجأة حين سمع صوتاً مخنوقاً من على الباب.

قالت ڤيتي: «آسفة جداً! لا تهتما لي..».

وتراجعت محرجة.

صاحت بريتا وهي تجلس: «لا تذهبي».

ودفعت عنها لويد بعنف. فوقف على قدميه يسوي ثيابه، ويستعيد وجهه لونه الطبيعي مع دخول ڤيتي مترددة إلى الغرفة، تنقل نظرها من بريتا إليه، بشيء من الرهبة.

وقالت مترددة: «جئت لأرى إذا كنت قد عدت.. فكرت أنك سترغبين في من يرافقك للنزول إلى المطعم.. كلنا هناك.. تستطيع المجيء أنت أيضاً لويد، لو أحببت».

وازداد احمرارها.

قال بلطف يربت خدها:

ـ هذا لطف منك.. لكن يجب أن أعود إلى الڤيلا، سأراكما غداً.. ليلة سعيدة.. بريتا.

ثم خرج مقفلاً الباب وراءه بهدوء.

نظرت ڤيتي ببؤس إلى بريتا:

ـ أعذريني حقاً، فلا يمكن رؤية هذا السرير إلى أن يصبح المرء داخل الغرفة، وإلا لكنت أغلقت الباب بهدوء وانسحبت.

ـ لم يكن الأمر كما بدا لك..

ثم لاحظت النظرة في عيني ڤيتي، فانفجرت ضاحكة تشرح لها مسألة الخدوش، وحمل لويد لها:

ـ كنت أعرفه من قبل.. نحن صديقان قديمان.

ـ يبدو أنكما مقربان جداً. بعدما رأيته، لا أظن أن لويد كان مسروراً للمقاطعة.

وقفت على قدميها تئن ألماً، ثم تثاءبت:

ـ لكنني أنا، كنت مسرورة.. كم أنا متعبة.. سأذهب إلى النوم.

ـ دون عشاء؟

ابتسمت بريتا بامتنان:

ـ ربما ليلة غد.

ـ لا.. في الغد حفلة في ڤيلا «نيمف».. حتى فتاة صغيرة مثلي مدعوة مثل النجوم. لقد تجنب لويد كل الاجتماعيات حتى الآن.. فهل سيكون في الحفلة غداً؟

هزت بريتا كتفيها: «لا تسأليني».

ابتسمت ڤيتي ابتسامة غريبة:

ـ حسن.. سأحاول عدم إزعاجك حين أعود.

ـ لا تقلقي.. لا شيء سوى هزة أرضية تقلق منامي هذه الليلة.

* * *

٩ ـ دموع الغضب

بدأت بريتا في اليوم التالي تكسب مالها بشكل جدي. لم تكن ماريا مطلوبة للتصوير ذلك اليوم، فبقيت مع «بريتا» في ڤيلا «نيمف». الجميع كانوا في الجهة الأخرى البعيدة من الجزيرة، يصورون مشاهد صراع فوق الصخور.

قالت ماريا: «تعجبني طريقة نطقك. وإذا تكلمت مثلك، ربما أحصل على أدوار أفضل».

ارتاحت بريتا لتصرف الفتاة اليونانية وانكبت على العمل.. تحاول أن تنسى أن هذه المراهقة الجادة في بنطلون جينز وتيشيرت هي تلك الغاوية التي رأتها في الليلة السابقة. عملتا معاً بجهد لساعتين.. وكانت ماريا سريعة الاستيعاب، ولها موهبة طبيعية في تقليد الأصوات. لحسن الحظ، كان دورها لا يتطلب الكثير من الكلام.. بل يستدعي حركة جسدية أكثر، وتعابير وجه، وقد اكتشفت بريتا أنها تجيد ذلك. وبعد وقت قصير بدأت تتقدم بسرعة وقد فرحت بذلك لأنها مصممة على النجاح.

خجلت بريتا لأنها شعرت بالتعب ساعة تناولتا القهوة... لكنها كانت مسرورة بعملها.. وكذلك ماريا.

قالت ماريا:

ـ كيف حال قدمك اليوم؟

ـ على ما يرام.. ارتديت حذاء مناسباً هذه المرة.

تحولت النظرة المتفحصة إلى تدقيق شامل من الرأس حتى القدم،

تستوعب البنطلون القصير، العملي، والقميص المخطط، ثم قطبت:

ـ أنت نحيلة جداً..

مدت يدها تدل على جسدها الممتلىء:

ـ الرجال يحبون هذا.. كيف تعجبين لويد؟

كادت تثور غاضبة لكنها تمالكت نفسها، وقالت بثبات:

ـ نحن صديقان قديمان.

ـ آه.. صديقان!.. أنا أريد لويد كحبيب لكن خريستو رجل غيور.. لذا حين سافر إلى أثينا بالأمس، ظننت أن الوقت ملائم لإغواء لويد، لكن إدي جاء بك.. وربما لن يسافر خريستو مجدداً عما قريب.

كبتت بريتا ضحكة قوية، فالفتاة كانت وقحة في صراحتها.. وسألت بفضول:

ـ ألا تحبين خريستو، ماريا؟

هزت الفتاة كتفيها:

ـ أنا أتزوج خريستو.. قريباً. لديه مال كثير، وزوجته ميتة. إنه وحيد، ويريد أبناء.. إنه رجل طيب جداً.. لكنه في الأربعين تقريباً.

هذه المرة لم تتمالك بريتا نفسها فضحكت:

ـ لكن ماريا، لويد في السابعة والثلاثين!

ـ آه.. لكنه مختلف.. لا؟ خريستو قوي.. لا.. كيف تقولين؟

وربتت على معدتها: «مكرش؟».

ـ مكرش.. أجل.. هذه كلمة بشعة.. لكن لويد يغازلني أمام الكاميرا بعنف، بحرارة، وأريده أن يفعل هذا ونحن لوحدنا.

بعد الظهر أمضت بريتا وقتها تتجول في البلدة، تتفرج على المحلات القليلة، بما تحتويه من تذكارات مصنوعة يدوياً. أخيراً دخلت إلى أحد المقاهي لشرب فنجان قهوة.. وأخذت أول رشفتين من فنجانها حين رأت إدي رستلر يسير على الرصيف وهو يتطلع حوله.. أضاء وجهه بابتسامة وهو يلمحها، وانضم إليها بعد الاستئذان.

- إذن.. أنت هنا.. قدمك أفضل كما أرى.

ابتسمت له بحرارة:

- لقد غمرتها بماء البحر، فالمياه المالحة جيدة للجروح.

- على ذكر الجروح.. هل كنت خشنة مع لويد ليلة أمس حين أعادك إلى هنا؟ لم يكن مشرقاً وهو يتناول العشاء.. ولا أستطيع أن أقول إنه على ما يرام اليوم.. ومن الجيد أن التصوير يشمل مشاهد العراك.. فقد بدا وكأنه يتمتع بكل المشاهد العنيفة، وبحماس زائد.

ردت بحذر: «لقد بدأت الأمور بداية سيئة».

- لا يجب أن تهتمي كثيراً بماريا.. وتعرفين هذا.. إنها طفلة بطبيعتها.

ضحكت بريتا:

- أدركت هذا بعد فترة قصيرة هذا الصباح. إنها معجبة بطريقة كلامي، ربما لها موهبة رائعة في التقليد، فأنا آمل أن أتوصل معها إلى نتيجة تعجبك.

- أنت رائعة بريتا.

طلب القهوة لهما معاً، ونظرت بريتا إليه بقلق:

- سمعت أن العاملين في مجال التمثيل غير صادقين تماماً.

سأل بخبث: «بمن فيهم لويد؟».

- دعنا من الكلام عنه.

- وهل من الممكن أن نتجنب الحديث عنه؟ يجب أن أحذرك أنه يتوقع وجودك في الحفلة هذه الليلة.. ولهذا أنا هنا.. قال لي لويد إنه سيحضر الحفلة إذا كنت أنت هناك.. وإلا..

- سيبقى في غرفته معزولاً.

- لا.. هذا ليس طرازه.

هزت بريتا رأسها:

- لا.. هذا ما لا يمكن لأحد أن يتهم لويد به.

- وهذا يعني أنه حاول مغازلتك ليلة أمس ولم تجاريه.. لذا كان مزاجه

سيئاً اليوم. لم يتذمّر ديموس أبداً، لأن النتيجة كانت رائعة، تعالي الليلة أرجوك وإلا سيشعر خريستو بالإهانة، وهو فعلاً رجل لطيف.

- كما قال لويد، أنا أقبض أجراً لأسليه.

صفّر إدي:

- أنت حقاً أصبت منه وتراً حساساً في مكان ما، حبيبتي. إنه عادة كتلة صلبة.

هزت رأسها بعنف: «آسفة.. هذا الكلام لا يقنعني. لكن، إذا اعتقدت أن وجودي في حفلة ديونيس، سيفي بالمراد، فسأحضر، ولو لأكسب أجري فقط. لكنني لا أملك شيئاً رائعاً ألبسه».

ابتسم يغمز لها: «تبدين رائعة هكذا».

قالت بخفة: «أراهن أنك تقول هذا لكل الفتيات.. سأعود إلى الڤيلا الآن لأضيف قليلاً من الزينة».

حين استعدت بريتا، فيما بعد ذلك المساء، ساورها الشك في فستانها.. حرير رقيق، نحاسي اللون، دفعتها غابل لتشتريه.. كان قسمه العلوي المكشوف يتعلق بالكتفين بشريطين رقيقين.

كانت ڤيلا نيمف متلألئة بالأنوار وأحست بريتا بتوتر عصبي حاد لسماع الموسيقى والأصوات الصاخبة، وهي تخرج من التاكسي مع ڤيتي.. كان الجميع يتحدث بأعلى صوته.. في وسط الجموع وقف رجل ممتلىء الجسم، متوسط الطول، في سترة سهرة بيضاء، وماريا تتعلق بذراعه وكأنها دمية. وبدت الفتاة اليونانية تخطف الأنفاس في فستان شفّاف ولوحت لبريتا بحماس بينما كانت ڤيتي تدفعها لتحية مضيفهن.

قالت ماريا وعيناها تبرقان:

- انظر خريستو.. هذه هي السيدة الإنكليزية التي ستجعلني أتكلم بشكل أفضل.. بريتا هذا خريستو.

حيا خريستو ديونيس الفتاتين بلطف، ثم أمسك يد بريتا بين يديه وأبقاها لحظة. تفحصتها عيناه الماكرتان السوداوان:

www.liilas.com/vb3

- كاليسبيرا آنسة بريتا.. أهلاً بك في منزلي.
ابتسمت له بريتا بإعجاب: «شكراً لك لدعوتي».
قالت ماريا تندس بخريستو كالقطة: «إنها صديقة قديمة للويد».
بدا خريستو راضياً، ونظر حوله:
- أين لويد؟ سيكون هنا.. أتى الكثير من الأصدقاء خصيصاً ليروه.
قالت بريتا: «أنا واثقة من أنه سيأتي».
ابتعدت ڤيتي، وقدم إدي إلى بريتا مزيج العصير الذي تحبه.. وراح يراقبها بإعجاب.
قال: تبدين كوردة متفتّحة.
وقادها بعيداً قليلاً عن بقية الضيوف.
- تبدين مذهلة الجمال بريتا..
ابتسمت له بحرارة: «شكراً لك».
وأخذت تتطلع من فوق الرؤوس علّها ترى رأس لويد.. فقال إدي بحيرة:
- ذهب للسباحة قليلاً.. سيصل في أي وقت الآن.
نظرت إليه بريتا ضاحكة:
- وهل نواياي واضحة إلى هذا الحد؟
- وبشكل محبب.
- ربما يجب أن أنضم إلى ڤيتي..
فجأة بدأت أضواء الكاميرات المبهرة تلمع مع خروج إيف من داخل المنزل.. متألقة بفستان من «الأورغانزا» الزبرجدي اللون والألماس يزين عنقها وأذنيها.. كان يحيط بها ديموس ليدجي من جهة ببذلة حريرية سوداء ومن الأخرى لويد تشايلد، في سترة سهرة بيضاء وربطة عنق سوداء مسترخية، شعره الطويل يلمع مع لمعان أضواء الكاميرات.
تمتم إدي:
- يجب أن نعترف بهذا لإيف.. صحيح أنها خارج الفيلم، لكنها لا

تبتعد أبداً عن الأضواء.. انظري إلى هذا بريتا.. أليست محبوبة ذكية؟
بالكاد سمعته بريتا.. إنها فجأة وجهاً لوجه مع شخصية لويد العامة.. وقد صدمتها إلى درجة البلاهة.. هذا الرجل الطويل القوي، الذي يقف وسط المجموعة المتألقة، قرب البركة، شخص غريب، مختلف.. لا علاقة له بالرجل الذي جلس إلى طاولة مطبخ منزل ديلاني ليلاعب لاري.. وهي تراه هنا.. هكذا.. ويأبى حلة النجومية. سخرت من وقاحتها في أن تفكر به كزوجها أو حبيبها.. وحتى صديقها، كل هذا أبعد بكثير من منالها في هذه اللحظات بالذات.
تقدم أحد المصورين يُبعد إدي عنها للقاء شخص ما. أصبحت بريتا لوحدها، فتراجعت على الفور نحو أشجار الصنوبر عند طرف البركة، تشعر إنها غريبة هنا.. كان يجب أن تكون في بلادها تعتني بلاري، وتعلم الأولاد، دون أن تفكر حتى بمثل هذا النجم الشهير. كانت النساء ينظرن إليه مبهورات، يتمتعن بكل كلمة تخرج من شفتيه الجميلتين.
فجأة لاحظت أنه يفتش عن شخص ما وأنه يرفع رأسه فوق رؤوس الجميع.. لا شك إنه يريد أن يتأكد من حضورها الحفلة كما أمر. تراجعت أكثر إلى الظل.. ثم رأت لويد يمسك بذراع إدي وهو يشير بيده إلى مكان وجودها..
وصل لويد إليها في خطوتين، ووقف مبتسماً. أخذ منها الكأس الفارغ، ووضعه أرضاً، قبل أن يخرجها من مخبئها.
لامس كتفها بإصبعه:
- تحاولين أن تكوني صعبة المنال.. يعجبني الفستان.
أشاحت بوجهها تشعر بخجل أحمق.
تحرك إصبعه إلى ذقنها يرفع وجهها إليه:
- ما الأمر؟ لماذا تختبئين هنا في الظل؟
أشارت إلى المكان المزدحم:
- مكاني ليس هنا.

ـ مكانك معي.. هذا صحيح صغيرتي.. لا تحاولي الإنكار.

ـ بالطبع أنكر. في هذه اللحظات أشعر وكأنني يجب أن أطلب توقيعك على دفتر مذكراتي.

ـ بسبب كل ما يجري هنا؟ إنه مجرد عمل.. عمل كنت أبتعد عنه مؤخراً، وأنا أخجل من اعترافي بهذا. ولقد جيء بك إلى هنا كرشوة لي، كي أحسن التصرف.

هزها بلطف:

ـ ولقد أحسنت التصرف.. وأين كنت؟ تختبئين هنا بدلاً من دعمي.

ردت بحزن:

ـ أنت لست بحاجة للدعم.. على الأقل ليس مني.. فما فائدتي لك؟

ـ فائدة؟

تنهد بقوة، وضمها إليه.. على الفور، اشتعل الليل بأنوار باهرة وبدأ المصورون يتوسلون لمعرفة اسم السيدة. وأحست بريتا بالارتباك، والتشوش والغضب، وحاولت دفعه بعيداً. لكنه شد عليها أكثر وابتسم لوجهها المحمر.. وقال:

ـ هذه هي السيدة التي سأتزوجها.. لقد أحببتها منذ كانت صغيرة.. أخيراً الآنسة بريتا ديلاني تصبح السيدة لويد تشايلد.

بدا لبريتا أن المكان كله يهدر، وإيف تعانقهما بابتسامة تحريضية.. ماريا تعبس بصراحة، وفريق مهتاج من المراسلين يطلقون الأسئلة ويلتقطون الصور.. ثم اجتمع فريق العمل لتقديم التهنئة، واقترح خريستو ديونيس شرب نخب الزوجين السعيدين. لكن، الواقع، أن واحداً منهما فقط كان سعيداً. كان الانتصار ظاهراً على لويد، لكن بريتا أحست بالتخدر.. بقيت تنظر إليه، وكأنها لم تره من قبل.

دخلت الڤيلا وقدم لها الكافيار والكركند ولحم السمّان.. ووجدت أنها تكره طعم الكافيار والكركند.. ومنظر السمّان أصابها بالغثيان. ابتسم المضيف وهز رأسه.. وبعد الكثير من قبل التهنئة والوداع أخذها لويد إلى

حيث تقف سيارة مرسيدس بيضاء لامعة. ابتعدا عن الڤيلا، ثم أوقف لويد السيارة على مرتفع صخري هو أعلى قمة في الجزيرة.. منظر يخطف الأنفاس، يمتد تحتهما. وامتلأت عينا بريتا بالدموع.

قال لويد:

ـ لا جدوى من التفرج على تشيروس في ضوء النجوم إذا كنت لا نراها.

جفت دموع بريتا، وخرجت من خدر أحاسيسها..

سألت: «ما الذي سيحدث الآن؟ بما أنك أعلنت زواجنا المرتقب للعالم الواسع دون حتى طلب إذن مني.. فلماذا لا تكون طيباً بما يكفي لتعلمني ماذا سيلي على جدولك؟».

ضحك لويد وخلع سترته يرميها إلى المقعد الخلفي.. ثم مرر إصبعه على وجه بريتا:

ـ سوف أتزوجك، وأعانقك، وأجعلك لي. ليس من الضروري طبعاً أن يحدث ذلك بالترتيب نفسه، إذا طلبت مني هذا بكل لطف.

ـ أوه.. كن جاداً أرجوك!

ـ أنا جاد. أعترف أنه كان لي شكوك من قبل. لكنها تبدّدت الآن.

ـ شكوك حول رغبتك الزواج مني؟

ـ لا حبيبتي، شكوك حول رغبتك أنت.

ـ وأنت الآن مقتنع أنني راغبة؟

تمدد إلى جانبها مسترخي الأعصاب:

ـ بعد صدمة ظهورك المفاجيء بالأمس، وفي وقت كانت تقوم فيه ماريا بمحاولاتها المنتظمة للحصول علي في غياب خريستو..

ـ قالت لي هذا. لكنني لم أدرك أنه عمل متواصل.

ـ قالت لك؟ يا للسماء!

ـ تظنني صديقة قديمة لك فقط.. لدي انطباع أنها لا تعتبرني منافسة لها أبداً.

وأشارت بيدها إلى جسمها:

- لا يوجد ما يكفي هنا وهناك.

تمتم بابتسامة ماكرة:

- هذا يتوقف على الذوق.. فكّرت مليّاً بعد أن ضبطت «بالجرم المشهود» في فراشك ليلة أمس..

- لم يكن في الأمر «جرم مشهود».

- وهل أقنعت ڤيتي بهذا؟

ضحكت:

- حسناً.. لا.

- هذا ما ظننته. على أي حال، حين فكرت بالأمر بتعقل، ظهرت لي الحقيقة الواضحة فجأة وأنا أستحم هذه الليلة.. ما من مبلغ مالي يمكن أن يأتي بك إلى هنا، مهما حاولت غايل أو پراي إقناعك، لو لم تكوني راغبة في المجيء. ولا تقولي لي شيئاً حول عطلة مجانية. أنا لست أحمقاً إلى هذا الحد.. هكذا، حبيبتي استنتجت أن هناك شيئاً غير الكراهية في قلبك الصغير.. هل أنا على صواب؟

صمتت بريتا.. إنه على صواب بالطبع، لكنها أحست بكراهية شديدة أن تعترف بهذا.

- حتى ولو كنت على صواب.. فهذا لا يعني أن الزواج سيكون ملائماً لنا.

- أظنه سيكون كذلك.

أحست بخيبة مريرة حين قال وكأنه يقرأ أفكارها:

- كل كياني يدفعني لمعانقتك حتى ترضخي لكل رغباتي. لكنني لن أفعل.. في هذه اللحظات، كل ما أطلبه عناق حميم، ثم أعيدك إلى الڤيلا.

- لكنك لم ترد عليّ بعد لويد! ماذا سنفعل فيما يلي؟

- أقترح أن نتصرف كما يتصرف المخطوبون حديثاً، أعني أن نبقى جبهة موحدة إلى أن أنهي تصوير دوري هنا، وتدربين ماريا على دورها إلى أن

تصبح جاهزة لتسجيل الصوت.. والله يعرف أنها ليست مضطرة لقول الكثير.. دورها ينحصر في النظر إليّ بغضب، والدوران حولي كنمرة هائجة، وهي تفعل ذلك بشكل رائع دون مساعدة من أحد، حتى ليدجي.

- وبعد ذلك لويد؟

- لنرى أولاً كيف تسير الأمور.. انتقلي إلى «نيمف» للسكن في هذه الأثناء.

- ما من مجال! سأبقى مع فريق العمل في ڤيلا يونيڤرس.. وإذا أردت رؤيتي في المساء، يجب أن تأتي إلى المطعم حيث يتناول الجميع طعامهم ويستريحون.

ارتفع حاجبا لويد وهو يحيطها بذراعيه ويشدها إلى صدره.. وتوتر جسدها الصغير مع امتداد إصبعه إلى خدها، قال مرحاً:

- إذن تعتقدين أن عليّ أن أجيء إليك طالباً ودك.. هل سيساعدني هذا على تحقيق هدفي؟

لمعت عيناها وهي تفتحهما واسعتين وقالت: «ربما».

قال، يقبل يدها:

- إذن سأفعل.

وضمها إليه مجدداً، لتشعر بحرارة ملتهبة غير متوقعة.. شد شعرها بلطف فتراجع رأسها إلى الوراء.. سرت موجة حرارة شديدة في جسد بريتا. لكن وبجهد عظيم تراجع لويد.. وهمست غير مصدقة: «لا؟».

بدا صوته خشناً متوتراً:

- لا.. لا.. ليس هنا، في السيارة.. أول مرة يجب أن تكون مكتملة، فريدة من نوعها.. جميلة وإنسانية.

وجدت بريتا صعوبة في التعاطي مع أول خيبة أمل لها.. ومضى بعض الوقت قبل أن يهدأ تنفسها، وتبطيء نبضاتها.. أخيراً ابتسمت له ابتسامة مشدودة غريبة:

- هل أنت واثق من أنها المرة الأولى بالنسبة لي؟

أجفل لويد، وبحزم عاد إلى مكانه خلف المقود، ينظر متجهماً إلى المنظر أمامه. وقال بهدوء:

ـ لست واثقاً.. بالطبع.. ربما لم أوضح ما أعنيه. عنيت أنها ستكون المرة الأولى لنا معاً، وهي تجربة يجب أن نخوضها بحذر وحس مرهف.

حاولت رؤية تعابير وجهه في العتمة.. لكنها لم تستطع. وأحست أنه يبذل جهداً خارقاً ليسيطر على نفسه.. وبقي صامتاً طويلاً إلى أن توترت أعصاب بريتا.. أخيراً استسلمت، وقالت بصوت رفيع:

ـ ستكون الأولى في الواقع، لويد.

نظر إليها بغضب راعد، وأدار محرك السيارة:

ـ أنت تتمتعين بعذابي بريتا! تغتنمين أية فرصة لتحريك السكين في صدري.

بدأ يقود السيارة في الطريق الملتوية بسرعة جعلت قلب بريتا في حلقها، فتمسكت بحافة مقعدها تقول:

ـ إنه موضوع شخصي.

ـ ولست معتاداً على بحثه مع امرأة.. مثل هذه المسألة لا تظهر للعيان.

ـ أنت على حق، نظراً لنوع النساء اللواتي تعاشرهن!

أجاب بصوت مكبوح، كانت بريتا ستبتسم له في ظروف أخرى.

ـ لا داعي لهذه الملاحظة.

قالت بعناد طفولي:

ـ على أية حال، أنت قلت إنك لا تريد مني سوى العناق.

رد محقاً: «ولم أسمعك تعترضين».

مرت الأيام التالية في روتين منظم. كانت تقضي كل يوم وقتاً قصيراً مع ماريا، ثم تستلقي في الشمس وتسبح، وتكتب بطاقات بريدية لا تعد ولا تحصى في كل مساء.. ومع عودة طاقم التصوير إلى الڤيلا، كانت ترافقهم إلى مطعم ريكو لقضاء ساعة حلوة في الإصغاء إلى أخبار التصوير ذلك النهار إلى أن يخلي الجالس إلى جانبها كرسيه ليجلس مكانه لويد، ويضع

ذراعه حول وسطها محافظاً على وعده بالتودد إليها علناً.

كان يأتي عادة في وقت متأخر، ويبدو متعباً بعد عمل النهار.. وكانت بريتا أحياناً تشعر بالذنب لأنها المسؤولة عن جعله ينزل إلى هنا بعد العودة إلى ڤيلا «نيمف» كل ليلة.

قال: «أحب المجيء إلى هنا.. وإلا سأضطر إلى التحدث مع ديموس كل ليلة عن العمل».

ـ لكنك تتحدث عن العمل مع الفريق.

ـ آه.. لكنني هنا أستطيع أن أحتضنك في الوقت عينه.

بدا قانعاً جداً بالجلوس طوال الأمسية وذراعه حولها، يأكل لحم الخبار الذي يحبه كثيراً، ويشرب كوباً من المرطبات ويقبلها عدة مرات على شعرها، أمام ذهول الفريق المجتمع حولهما.. بعد يوم أو يومين من هذه المعاملة، انتعشت بريتا وازداد لون سمرتها إشراقاً. وبدت بصحة جيدة، مسترخية، وقد تصالحت مع الدنيا، حتى مع ماريا، التي كانت قد ازدادت حرداً وعدوانية بعد الحفلة.. لكنها سرعان ما أذعنت لواقع أن بريتا «سرقت» منها لويد.

لم يختليا يوماً في مكان. ولدهشة بريتا، وذهول بقية الفريق، كان لويد يتركها كل ليلة قرب الڤيلا مع البقية بقبلة وداع فقط، كدليل على حبه.

كان إدي رستلر ينضم إلى الفريق أحياناً في المطعم، لكنه نادراً ما كان يطيل البقاء، مع أنه كان دائماً يتحدث إلى بريتا مطولاً قبل رحيله.

قال لويد لبريتا في إحدى الليالي: «إدي مغرم بك».

عبست في وجهه:

ـ كلام سخيف. إنه لطيف معي، هذا كل شيء.

ضحك لويد:

ـ لكان أكثر لطفاً لو لم أكن أنا هنا.

نظرت إليه بإثارة وعيناها تبرقان:

ـ كان يسألني إذا كنت أرغب في أن أذهب لأتفرج عليك وأنت تصور في

الغد.. ماريا ليست بحاجة لي غداً، وسأذهب مع كابي وڤيتي.

ابتسم لها: «ستجدين الأمر مضجراً».

هزت رأسها بحزم: «لا تخف».

منذ لحظة وصلت بريتا الكهف المخيف في الجانب النائي من الجزيرة، امتلأت نفسه إثارة، وتأثرت كثيراً بالتركيز العالي على التقنية الحديثة، ومنظر الكاميرات والأسلاك الضخمة المتلوية كالأفاعي فوق الرمال.. وظهر لويد في قميص كاكي ممزق وبنطلون مماثل، ورباط على رأسه ملطخ «بالدم». ثم أعطى ليدجي إشارة البدء في التصوير. وراقبت بريتا كل شيء وهي بعيدة عن الطريق، مذهولة بينما كانت بديلة ماريا تتسلق قسماً من الصخور مرة بعد مرة إلى أن أصبح قميصها الأسود مبللاً بالعرق، وبدت الفتاة مرهقة.. ثم توقف الجميع للغداء فشرحت لها ڤيتي أن القصة تقتضي اختفاء لويد في الكهف الذي في باطن الصخور المرتفعة، بينما تسعى ماريا وراءه لتقتله.. وكان على بديلة ماريا أن تشق طريقها تسلقاً فوق الصخور، وتبدو وكأنها تقع في إحدى المراحل، ثم تصل سالمة إلى الكهف الذي من المفترض أن يكون لويد مختبئاً فيه.. وجاء لويد ليأخذ بريتا في جولة على المعدات.. وهما يتحدثان إلى بعض التقنيين، تقدم إدي نحوهما، بوجه ساخط:

ـ ماريا عادت إلى الڤيلا بسيارة خريستو. قالت إنها مريضة.. آلام في معدتها.

تأوه لويد: «ماريا أيضاً!».

ونظر إلى مجموعة العاملين الذين يحاولون تهدئة ليدجي، وقال:

ـ إنه غير سعيد.. هذا واضح.

تنهد إدي متجهماً:

ـ من حسن الحظ أننا صورنا مشاهدك معها أولاً.. لم نعد بحاجة سوى إلى تصوير مشهد تسلق الصخور.. بمشيئة السماء سننهي تصوير المشهد اليوم.

تمّ التشاور مع ليدجي، ثم عاد لويد إلى موقعه في الكهف.. وعادت كاترينا بديلة ماريا مرة أخرى للتسلق.. كانت تشابه ماريا بشكل ملحوظ، من على بُعد. وأبقت وجهها مختبئاً طوال الوقت وهي تكافح في أول بضع أقدام من الصخور.. لكن أداءها لم يعجب ليدجي.. وفي المحاولة الثالثة بعد الغداء، وقعت الكارثة.. كانت الفتاة على مسافة قصيرة من الكهف، حين زلت قدمها ووقعت. استلقت تتأوه وتئن.. لحسن الحظ، معظم إصاباتها كانت رضوضاً، لكن لسوء حظ ليدجي، أصيبت بلوي حاد في كاحلها فلم تعد قادرة على التسلق.

قالت ڤيتي متجهمة:

ـ كنت أعرف أن الأمور تسير بسهولة غير معقولة.

ـ أيعني هذا أن لا تصوير اليوم؟

ـ ربما.. لم يعد لدينا سوى هذا المشهد ثم مشهد عند الميناء، وينتهي العمل في الموقع كله.

مسحت ڤيتي العرق عن جبينها المنمش ونظرت نحو النقاش الصاخب الدائر ما بين ليدجي، لويد، وإدي رستلر.. كان ليدجي يقترح شيئاً، وإدي يهز رأسه بعنف. ثم أشار لويد بيديه إشارة سخط عنيفة، وسألت بريتا بفضول:

ـ لماذا كل هذا الجدال؟

ـ لست أدري.

ثم ظللت عينيها بيدها:

ـ أوه يا إلهي، لا بد أنهم يحتاجون إليّ في شيء ما. كلهم ينظرون إلى هنا.

ذهبت راكضة، فوق المنصة الخشبية نحو المجموعة الصاخبة. حين وصلت ذهلت بوضوح لما سمعته.. فجأة انفصل لويد عن المجموعة وسار عبر الشاطىء ليجذب بريتا، وديموس ليدجي وإدي في أعقابه.. وقال آمراً: «لن تفعلي هذا».

وضمها إليه بشدة ناظراً إلى ديموس متحدياً، دفعت بريتا ذراعه عنها:

ـ أفعل ماذا؟

ابتسم ديموس ليدجي ابتسامة إقناع:

ـ مجرد خدمة صغيرة عزيزتي..

صاح لويد بعنف: «بحق السماء ديموس».

رفع المخرج يده يسكته، بينما بقي إدي صامتاً، يبدو تعيساً.

قال ليدجي بلهجة الرابح:

ـ دعيني أشرح الأمر لك بريتا.. أنا لا أحتاج سوى إلى هذا المشهد القصير، وينتهي العمل هنا. لقد صورنا المشاهد اللازمة في الكهف مع ماريا. وكل ما نحتاجه هو مشهد تسلق الصخور.. هل قالوا لك إن ماريا مريضة؟ إذن بإمكانك تقدير مدى مشكلتي.. لو كانت هنا لكنت أصريت على أن تتسلق بنفسها، لكنها ليست هنا.

مد يده إلى شعر بريتا:

ـ وأنت تشبهين ماريا من بعيد أكثر من المسكينة كاترينا.. ألا يمكنك مساعدتنا؟

كادت ذراع لويد تكسر ضلوع بريتا، فاحتجت تبتسم لوجهه العابس، ثم قالت لليدجي:

ـ طبعاً سأفعل.. إذا كنت تظن أنني قادرة.

هدر لويد: «بريتا! يمكن أن تؤذي نفسك..».

ـ لا.. لن أؤذي نفسي لويد.. صدقاً.. بعد العيش مع أخوتي، القليل من تسلق الصخور سيكون راحة لأعصابي.. سأكون على ما يرام.. حقاً.

لكن إدي بدا ساخطاً أكثر من لويد، الذي استمر يجادل طوال الطريق إلى المقطورة حيث استعدت بريتا بسرعة للمشهد. عاد لويد مرة أخرى إلى الكهف، وتحلق الفريق حول بريتا يشجعها. أخذها ليدجي إلى أسفل الجرف الصخري ليدلها على مواقع الأقدام، المحضرة سلفاً، لتسهيل

تسلقها.. وقال شارحاً:

ـ مواقع الأقدام لن تظهر في التصوير.. ستبدين وكأنك تتسلقين صخراً أملساً.. لذا حاولي أن يبدو الأمر وكأنه شاق حبيبتي. حين تصلين إلى ذلك الجرف الناتىء في الأعلى، تظاهري أنك انزلقت، ثم استجمعي نفسك واصعدي ببطء قدر المستطاع إلى الكهف.

نظرت بريتا إلى الجرف الصخري، الذي بدا شديد الانحدار عن قرب.. لم تكن تخشى المرتفعات، وهي واثقة من أنها تستطيع التسلق دون مصاعب، ورفضت أن تجرب أولاً.

ـ إذا لم تكن تمانع سيد ليدجي.. أفضل أن تصوّر من أول مرة.. ودعنا نأمل أن يكون لي حظ المبتدئين، وأنفذ المهمة من أول مرة.

أمسك مساعد المصوّر «الكلاكيت» المكتوب عليه رقم اللقطة، وأخذ يعد عكسياً، ثم بدأ التصوير.. أخذت بريتا نفساً عميقاً وبدأت الصعود.. كانت مواقع الأقدام متباعدة جداً، وهي أقصر من البديلة اليونانية، وهذا ما جعل تقدمها أكثر رهبة للمراقبين وأكثر إرهاقاً لها، وبدأ العرق ينساب إلى عينيها، ويبلل قماش قميصها الرقيق.. وتشوقت لأن تمسح جبينها، لكنها لم تجرؤ، فهي تحتاج إلى يديها لتبقى معلقة.. ووقع الشريط الذي يربط شعرها، فانسدل فوراً وهي تكافح في طريقها إلى الحرف الصخري البارز.. كانت قد وصلت إلى نقطة أعلى من تلك التي بلغتها الفتاة الأخرى.. نقطة اللارجوع.. كما فكرت متجهمة، وأملت بحرارة ألا يؤثر الشعر المتطاير على المشهد، فهي الآن متأكدة من أنها لن تستطيع القيام بالدور مرّة ثانية. كانت أنفاسها تؤلمها كحد السكين، ويداها مبللتين زلقتين من العرق.. توقفت لاهثة، قبل أن تبذل جهداً أخيراً لبلوغ الحافة الناتئة.. رأت لويد، يمد نفسه خارج الكهف قدر استطاعته.. وجهه متوتر تحت الضمادات الزائفة.. زلت قدمها وهي تحاول ملامسة الحافة، فانهار التراب والصخور الصغيرة على طول الصخرة.

صاح لويد بصوت أجش:

- لا تنظري إلى تحت.. ارفعي قدمك الأخرى ببطء.. ببطء.. إلى الحافة.. هذا صحيح، فتاة طيبة.. الأمر سهل.. الآن ارتاحي دقيقة.

أطاعته دون وعي.. وأكمل:

- حركي يدك اليمنى إلى فوق والأمام قليلاً.

صاحت: لا أستطيع.

- بلى.. تستطيعين. تحركي.

مدّت نفسها إلى فوق دون وعي لتجد ما تتمسك به في الحافة الصخرية.

قال لويد بهدوء:

- أحسنت.. الآن حركي قدمك اليمنى قليلاً.

لكن القدم بقيت حيث هي بعناد.. ثم هدر صوت لويد:

- حركي قدمك!

تحركت القدم، بعد لحظة لحقت بها الأخرى، لدهشة بريتا.

قال بخشونة: «عظيم.. الآن مدي يدك اليمنى مجدداً».

أطاعته بريتا، والتقط يدها بقبضة من حديد أحست معها بالأمان.

- والآن، أعطني يدك الأخرى.

أخذت بريتا نفساً عميقاً وأجبرت يدها اليسرى على ترك الصخرة لتلتقطها فوراً يد لويد الأخرى. ثم صرخت رعباً بعد أن أصبحت للحظات معلقة في الهواء.. لجزء من الثانية تملكها الرعب، وجعلها عمياء صماء عن كل شيء ما عدا إرادة البقاء حية.. أخذ الدم يضج في أذنيها، والأنوار تتراقص خلف عينيها المغمضتين بقوة.. ثم، وبشكل لا يصدق، اخترق صوت لويد ضباب الرعب، وغيرت كلماته رعبها إلى غضب:

- سأسحبك إلى فوق لو وافقت على الزواج مني.. قوليها الآن أو أتركك تقعين. قولي نعم بريتا، قولي!

صوته كان خشناً متوتراً، أعلى بقليل من شهقاته، لكنه مسموع جيداً.. بغضب شديد صاحت بريتا:

- لا..!

ثم تخيلت أن قبضته استرخت عنها قليلاً.. فشهقت باكية:

- نعم.. نعم.. شدني إلى فوق فقط.. أرجوك!

بقوة جبارة، سحبها دون رقة، إلى الكهف.. فانهارت على صدره الخافق بقوة، تشهق ببكاء غاضب، غافلة عن الهتافات التي انطلقت من الأسفل. أمسك رأسها بحيث غطى شعرها المبلل وجهها عن أعين الفضوليين المراقبين على الشاطىء.. وهزها مهدهداً بين ذراعيه يتمتم بصوت مرتجف:

- حبيبتي.. حبيبتي.

كان يمسح برقة دموعها بأصابع ترتجف:

- أنت بخير الآن.. سالمة.. لا تبكي.. يا صغيرتي.

شهقت:

- أنا.. لا أبكي.. لأنني خائفة.. الدموع دموع الغضب.. أيها النذل!

نظر لويد نظرة إلى المتفرجين المتحمسين وضمها إليه أكثر، يأخذها إلى عتمة الكهف.

- لقد احتجت إلى شيء ما لأنتزعك من الرعب، ومع بروز الفرصة وجدت من العيب ألا أصطاد عصفورين بحجر واحد.

نظرت إلى العينين القريبتين منها.. وسألت:

- أكنت حقاً ستتركني أقع؟

- ماذا تظنّين؟

استجابت لعناقه بحرارة سلبت لويد إرادة الانضباط. وللحظات حارة عمياء، نسيا محيطهما المعتم المخيف، وفريق التصوير في الأسفل.. وكل شيء آخر في العالم... ثم قاطعتهما أصوات وقع أقدام تتقدم فوق الممر الصخري، ووصلهما ليدجي:

- رائع حبيباي! لقطة واحدة، كانت مكتملة.. وانفلات الشعر.. ممتاز.. وتصرفك عند الحافة بريتا..

قبل أطراف أصابعه إعجاباً:

ـ مذهل.. فتاتي الحبيبة.

صافح يد بريتا المتسخة، وربت ظهر لويد:

ـ يا له من إلهام لويد أن تمد يدك لتسحبها... مشهد هائل!

كان الجو بهيجاً عند ريكو ذلك المساء.. لا زال هناك تصوير ليوم واحد وينتهي العمل.. لكن الجميع كان في مزاج احتفالي بعد التصوير في الكهف.. وتلقت بريتا المزيد من التهاني والقبلات من الجميع.

سأل لويد ضاحكاً: «وماذا عني أنا..؟».

قالت كايي مساعدة المنتج:

ـ أنت محترف.. ونتوقع منك القيام بالمعجزات في كل مرة.. لكن مساهمة بريتا الصغيرة كانت مذهلة جداً..

قالت بريتا: لم أتوقع هذا المشهد.. هل كان في السيناريو؟

هز لويد رأسه مبتسماً لها بسعادة:

ـ إنه إلهام وليد لحظته.. فعّال.. أليس كذلك؟

لكمته في ضلوعه بحدة:

ـ لست أدري إن كنت قد سامحتك بعد.

ـ ستسامحينني.

ـ أوه.. حقاً؟

ـ أجل.. سأمتدحك.

ـ كيف؟

ـ انتظري لترى.

بدا أن المجموعة على استعداد لإكمال الاحتفال.. لكن، لم يندهش أحد حين وقف لويد يشد بريتا لتقف معه بعد انتهاء وجبة الطعام مباشرة، وتبادلا مع الجميع الأمنيات بليلة سعيدة.. وخرجا يداً بيد إلى الرصيف. كانا تائهين في عالم خاص بهما تحت نور القمر، كانت أوراق الصنوبر تنزلق تحت أقدامهما وهما يسيران بصمت في النور الفضي نحو ڤيلا يونيڤرس

المهجورة في هذه اللحظات.

توقف لويد عند أسفل السلم:

ـ بما أن هذه ليلة فريدة من نوعها.. أيمكن أن أدخل معك لفترة؟

وقفت بريتا بضع درجات فوقه تنظر لأول مرة، من فوق، إلى الوجه المألوف المحبوب، ثم لامست خده بخفة:

ـ أجدك غير طبيعي بدور المتوسل، لويد.

ـ إنه دور لا ألعبه كثيراً بريتا، ولا أحتاج أن ألعبه.

ابتسمت: لا.. لا أعتقد أنك تحتاج لذلك.. ولا أستطيع منع نفسي من الإحساس بالإطراء بسبب إصرارك.. مع أنني لا زلت أجد صعوبة في تصديقه.

ـ لماذا؟ أنا مصر لأنني أحبك.. فما الذي يصعب تصديقه؟ هناك في الكهف اعتقدت أننا توصلنا إلى اتفاق أخيراً.

أخفضت جفنيها تنظر إليه عبر رموشها:

ـ لكننا ضعنا.. مرة أخرى.

نظر إليها مفكراً، ثم إلى المنزل الساكن بنوافذه المعتمة:

ـ يبدو المكان هادئاً هنا.. دعيني أدخل وأتحدث إليك إلى أن تعود ڤيتي.

وافقت وتقدمته إلى الردهة المعتمة، ثم إلى الغرفة التي تشاركها مع ڤيتي.. على وسادة بريتا ورقة مثبتة بدبوس، زهرية اللون فيها رسالة بقلم عريض بخط يد ڤيتي:

«كنا نريد أن نقدم لك هدية لذكرى مغامرتك اليوم.. لكن لم نجد الوقت لشرائها.. لذلك، وبدلاً عنها، سأنتقل إلى غرفة كايي..».

حدقت بريتا بالكلمات، خداها يعكسان لون الرسالة. كان لويد يقف إلى جانبها، وأحست بالرجفة اللاهية التي سرت في جسده.

ـ ما المضحك؟

ـ تبدو لي رسالة ڤيتي دعوة بريئة.

دفنت وجهها في صدره، تلف ذراعيها حوله.

ـ لقد اقترحت كابي انتقال ڤيتي إلى غرفتها من قبل.. لكنني لم أقبل.

أرجع وجهها إلى الوراء:

ـ لماذا؟

ـ فكرة تودك إليّ علناً كانت تستهويني. ولم أكن جاهزة.. لأي شيء آخر.

جلس على السرير، يجذبها لتجلس على ركبته:

ـ وهل أنت جاهزة الآن؟

ـ أجل.. أخيراً كبرت لوليتا.. استغرق هذا زمناً طويلاً.. لكنني كبرت أخيراً.

مرر يده فوق شعرها، يفك الشريط الذي يثبته عند مؤخرة عنقها.. ثم مرر أصابعه فيه يمشط خصلاته الطويلة اللماعة.

ـ تبدين باردة جداً.. ومتباعدة.

ضحكت بارتجاف:

ـ إذن لا بد أنني أجيد التمثيل مثلك تماماً.

وهذه كانت الحقيقة.. فقلبها كان يخفق كالرعد، نظر لويد في عمق عينيها لحظات طويلة، ثم أوقفها بعناية على قدميها، واتجه إلى الباب. أقفله بالمفتاح وأطفأ الأضواء، ثم فتح النوافذ الخشبية ليتدفق نور القمر.. وقفز قلب بريتا من مكانه:

ـ ماذا تفعل؟

ـ أحضر المشهد، أنا أحب المشاهد حبيبتي.

ارتجفت بريتا.. كل ذرة منها تستجيب لشعوره.

دفنت وجهها في عنقه:

ـ أنا قلقة لويد.

ـ أنت وأنا غلبتنا الأحداث، صغيرتي..

ـ حقاً؟ أستطيع إذن الاعتماد دائماً على نسيانك لأحصل على نتائج أفضل.. مع أنها المرّة الأولى التي أظهر فيها أمام الكاميرا.

ضحك وعانقها بسرعة:

ـ كان ظهوراً ناجحاً.. وأظنني أستطيع أن أضمن لك نجاحاً طويلاً.. سيدتي!

ضحكت بسعادة:

ـ هل يمكن أن أحصل على هذا الضمان مكتوباً.

نظر إليها متردداً:

ـ أتعنين أنك لو لم تغرمي بي لكنت بأمان أكبر؟

ـ وهل حماسي واضح إلى هذا الحد؟

ـ الحماس المفرط مستحيل عليك برأيي.

وأخفض نفسه إلى جانبها يلف خصلة من شعرها حول معصمها.. فقالت حالمة:

ـ أنا واثقة أنني ما كنت لأستجيب يوماً لأي رجل آخر.

شد شعرها بحدة:

ـ لا أنصحك بالتجربة لتتأكدي.

ـ آوتش..!

عانقته في محاولة لاسترضائه، لكنها تسببت بردّ فعل مختلف، فقالت مقطوعة الأنفاس:

ـ انتظر.. أريد قول شيء آخر..

تمتم:

ـ فيما بعد.

لكنها أبعدته قليلاً:

ـ أردت فقط أن أقول.. لو أن هذا إقناع بالإكراه، أرجو أن تكون النهاية سعيدة.

تمتم:

ـ فيما بعد.

لكنها أبعدته قليلاً:

ـ أردت فقط أن أقول.. لو أن هذا إقناع بالإكراه، أرجو أن تكون النهاية سعيدة.

ابتسم لها منتصراً:

ـ لكن، بالنسبة لك ولي حبيبتي.. هذه مجرد بداية سعيدة.

* * *

www.liilas.com/v63
Aml